الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

عنوان المذكرة

القيادات العسكرية الاستعمارية بالجزائر منتصف القرن 19 "الجنرال بيجو أنموذجا"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبتين

- بن صادق صورية
- طيب أسماء

إشراف الأستاذ:

- د. بن صحراوي كمال

لجنة المناقشة

الأستاذ: د. خنفار الحبيب	رئيسا
الأستاذ: د. بن صحراوي كمال	مشرفا ومقررا
الأستاذ: د. بكاري عبد القادر	مناقشا

السنة الجامعية: 2023–2024

شكر وتقدير

أولا نشكر الله سبحانه وتعالى على ما أسبغه علينا من نعم، وعلى تسيير السبيل
فله الحمد والشكر في كل وقت وحين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
وانطلاقا من باب من لم يشكر الناس لم يشكر الله
نتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ المشرف "بن صحراوي كمال" على إرشاداته
وتوجيهاته التي لم يبخل بها علينا يوما.
كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل يد رافقتنا في هذا العمل سواء من قريب أو من
بعيد.
و الشكر موصول كذلك إلى أوليائنا الذين سهروا على تقديم كل الظروف الملائمة لنا
لإنجاز هذا العمل.
كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أعضاء اللجنة المناقشة الموقرون على تشرفهم
بقراءة وتقييم هذا العمل المتواضع
ونتقدم بشكرنا وامتناننا إلى جميع أساتذتنا بقسم العلوم الإنسانية وشعبة التاريخ.
وفي الأخير نرجوا من الله تعالى أن يجعل عملنا هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة
والباحثون.

إهـــــــــداء

ماسلكنا البدايات إلا بتيسيره ومابلغنا النهايات إلا بتوفيقه وماحققنا الغايات إلا بفضله

فالحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية

ما أجمل أن يجود المرأ بأغلى ما لديه و الأجمل أن يهدي الغالي للأغلى

أهدي ثمرة جهدي هذا :

إلى أغلى ما في الوجود إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها وإحتضنتني بقلبها قبل يدها...

إلى من سهلت عليَّ الشدائد بدعائها إلى وهج حياتي -أمي حفظها الله-

إلى من غرس في روحي مكارم الاخلاق إلى الدائم الأول لبلوغي ما أنا عليه الآن -أبي حفظه الله-

إلى من عشت معهم أجمل لحظات حياتي إلى شموع دربي أخوتي وأخواتي إلى النفس البريئة

-"أشرف"- الصغير مع تمنياتي له بالمراتب العليا

إلى كل أساتذتي من الإبتدائي إلى الجامعة

وإلى صديقتي وشريكتي في هذا العمل

وفي الختام أسأل الله التوفيق والنجاح

أسـمـاء

إهـــــــــــداء

بعد مسيرة دراسية دامت سنوات حملت في طياتها الكثير من الصعوبات والمشقة والتعب

ها أنا اليوم أقف على عتبة تخرجي أقطف ثمار تعبي أورفع قبعتي بكل فخر

فاللهم لك الحمد قبل أن ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا

لأنك وفقتني على إتمام هذا العمل وتحقيق حلمي

...أهدي هذا العمل...

إلى المرأة التي صنعت مني فتاة طموحة تعشق التحديات قدوتي الأولى التي منها تعرفت على القوة والثقة بالنفس لمن رضاها يخلق لي التوفيق

-أمي- أطال الله في عمرك بالصحة والعافية...

إلى ذلك الرجل العظيم الذي أخرج ما في داخلي وشجعني دائما للوصول إلى طموحاتي

رجل علمني أن الحياة بأجمل شكل وبذل كل مابوسعه ولم يبخل

-أبي أدامك الله ظلا لنا-

إلى خيرة أيامي وصفوتها رزقني الله بهم لأعرف من خلاللهم طعم الحياة الجميلة

-إخوتي-

إلى صديقتي وزميلتي في هذا العمل...

إلى جميع من أمدوني بالقوة والتوجيه ودعمني في الأوقات الصعبة لأصل إلى ما عليه الآن دمتم لي سندا لا عمرَ له ...

صـوريـة

قائمة المختصرات

المختصر	المعنى
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
تص	تصدير
ج	جزء
دس	دون سنة
دط	دون طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
ط	طبعة
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري

المختصر	المعنى
P	page
P P	Des pages

مقدمة

مـقدمـــة:

لا زال تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر محل اهتمام الباحثين والمؤرخين الجزائريين والأجانب على حد سواء خاصة الفترة المتعلقة بالاستعمار الفرنسي التي شهدت الكثير من الأحداث وعلى الرغم من الدراسات التي أنجزت إلا أنها ظلت إلى يومنا هذا بعيدة عن تغطية كل ماعاناه الشعب الجزائري من تلك السياسة.

كان سقوط مدينة الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي سنة 1830 نذيرا بسقوط صرح الأمة الجزائرية الديني والاجتماعي وتبدد تراثها الفكري والأدبي، فكانت مأساة الجزائريين على يد أعداء الإنسانية من بين أفظع مآسي التاريخ، وقد شهدت تلك الفترة أعمالا بربرية ووحشية ارتكبتها السلطات الفرنسية لتحويل الجزائر إلى جزء لا يتجزأ منها.

انطلاقا من هذا أخذت السلطات الفرنسية تعمل على ترسيخ سياسة الاستيطان، فهو عامل مهم بالنسبة إليها حتى تثبت أقدامها بالجزائر حيث واكب ذلك استقدام العديد من القادة العسكريين الفرنسيين الذين مكنتهم من المناصب بالجزائر فاصطدموا بمقاومة وطنية شرسة تمثلت في عدة ثورات شعبية مثل ثورة الأمير عبد القادر الجزائري بين عامي1830 و1847، والقضاء على هذه المقاومة تم استدعاء الجنرال بيجو الذي انتهج سلسلة من الحملات العسكرية القاسية ضد الجزائريين وشن هجمات عنيفة على المدن والقرى، كما اتخذ إجراءات قاسية ضد الزعماء الجزائريين ومن معهم من الثوار، بما في ذلك المحاكمات السريعة والإعدامات، وبهذا صارت فترة حكم الجنرال بيجو في الجزائر جزءا لا يتجزأ من سياسة فرنسا في المنطقة وصارت هذه الفترة في المقابل محطة هامة في تشكيل الهوية الوطنية وتعزيز النضال ضد الاستعمار.

ومن هنا فإن سياسة الاحتلال الشامل التي عرف بها الجنرال الفرنسي بيجو تعتبر مثالا واضحا على ما طبق على الجزائريين من أشكال القمع والترهيب، وقد عبر بيجو ذاته عن هذه السياسة في مذكراته بعدما عمل على تجسيدها على أرض الواقع.

- **أهمية الموضوع** : تكمن أهميته في التعريف بالسياسة التي انتهجتها فرنسا في الجزائر مع إبراز الدور الذي لعبه الجنرالات الفرنسيين على رأسهم بيجو بجعل الجزائر مستعمرة فرنسية بانتهاج اساليب مختلفة والتي عرفت الكثير من نقاط التشابه والإختلاف، لكن الهدف كان واضح وهو الإخضاع والسيطرة على الجزائر.
- **إشكالية الموضوع** : تمثلت الإشكالية الرئيسية لهذا البحث في محاولة معرفة السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر في فترة الجنرال بيجو، ومن هنا نطرح الإشكالية التالية: **إلى أي مدى ساهمت سياسة القيادات العسكرية على رأسهم الجنرال بيجو في دعم سياسة الاحتلال الشامل في الجزائر؟**

وتندرج ضمن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية:

- كيف كانت الأرضية في الجزائر في عهد الجنرالات الثلاث قبل بيجو؟
- كيف أثرت معاهدة التافنة وسياسات الجنرال بيجو على مسار المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر؟
- ماهي الأهداف والنتائج المترتبة على تنفيذ الجنرال بيجو لسياسته الاستعمارية في فترة حكمة؟
- كيف تفاعلت المقاومة الجزائرية مع سياسة بيجو قائدا عسكريا وحاكما عاما؟
- كيف تباينت ردود الفعل الإقليمية والدولية اتجاه الجنرال بيجو في الجزائر ؟

أما عن الدوافع التي حملتنا لاختيار هذا الموضوع فتعود إلى سببين رئيسيين:

أ. السبب الذاتي:

✓ رغبتنا وميولنا الشخصية إلى دراسة تلك الفترة باعتبارها قاعدة لما يليها في تاريخ الجزائر المعاصر، مملوءا بالبطولات والتحدي لأكبر قوة آنذاك والمتمثلة في الاستعمار الفرنسي.

✓ الاهتمام بالشخصيات المتميزة في الفترة الاستعمارية التي تركت بصمة سيئة في تاريخ الجزائر.

✓ الرغبة في كشف الغموض وإزالة الالتباس عن بعض الحقائق التاريخية.

ب. السبب الموضوعي :

✓ يعود سبب اختيارنا لهذه الفترة، القرن التاسع عشر كونها فترة تميزت بحكم عسكري وانتهت بتغيير هذا الحكم وفق مجموعة من الأحداث التاريخية

✓ محاولة فهم خلفيات السياسة الفرنسية بالجزائر والتي لا يمكن استيعابها والإلمام بها إلا إذا تم البحث في مراحلها الأولى وذلك بالرجوع إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

وبما إن طبيعة وحجم المعلومات المتوفرة هما المتحكمان في المنهج المتبع الذي يكتسب طابعا تاريخيا فإن معالجة الدراسة تطلبت اعتماد المنهج التاريخي بناءا على بعض آلياته.

- **المنهج الوصفي**: ذلك بوصف واستعراض مخططات الإدارة الفرنسية وتطبيقها على الجزائريين وطرق المواجهة الوطنية لهذه السياسة وذكر المجازر التي أقدمت سلطات الاحتلال على ارتكابها وغيرها من الأحداث.

- **المنهج التحليلي**: حيث كان سندا للمنهج السابق، وقد اعتمدنا من خلاله على تحليل بعض القضايا المتناولة في المذكرة خاصة فيما يتعلق بسياسة الأرض المحروقة وسياسة الاستيطان والمكاتب العربية وما كنت تهدف إليه.

- **الدراسات السابقة**: ولعل من أبرز الكتابات التي تناولت مثل هذا الموضوع مقال الأستاذة بن عمارة زوينة بعنوان الحاكم العام الفرنسي في الجزائر الجنرال بيجو وأثر سياسته على الجزائريين 1841-1847، لكن هذه

الدراسة ركزت على سياسة الجنرال بيجو في فترة حكمه بالجزائر فقط، أما دراستنا فجمعت كلا الفترتين منذ وصوله للجزائر كقائد عسكري حتى توليه منصب حاكم عام.

ولإثراء الموضوع اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع كذلك المجلات التي رأينا أنها تساعدنا في إنجاز موضوعنا:

بالنسبة للمصادر:

كتاب حياة الأمير عبد القادر لهنري تشرشل وهو مصدر أفادنا في معرفة موقف الأمير عبد القادر ودوره في المقاومة الوطنية ضد الفرنسيين، وكتاب طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر لبن عودة المزاري أفادنا في قلعة تاقدمت.

أما بالنسبة للمراجع:

كتاب الحركة الوطنية (1830-1900) لأبو القاسم سعد الله في جزئه الأول بحيث يعتبر من أهم المراجع في التاريخ الحديث والمعاصر استعملناه تقريبا في دراسة كل المذكرة فقد احتوى على معلومات مهمة حول شخصية الجنرال بيجو وكتاب الجزائر الأمة والمجتمع لمصطفى الأشرف، وكتاب استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية لعبد القادر دحدوح والذي أفادنا في تحطيم قلاع تازة وسعيدة وسبدو أما عن كتاب برونو إيتين الذي بعنوان عبد القادر الجزائري فهو مرجع ذو طابع سردي أفادنا في أعمال الجنرال بيجو وسياسته.

أما الرسائل الجامعية والمقالات

فقد استفدنا من مذكرة الماجستير للأستاذة حرشوش كريمة بعنوان جرائم الجنرالات الفرنسيين، ومقالات الأساتذة عبد القادر سلاماني ومحمد رزيق المتمثلة في السياسات المدمرة وأثرها على المقاومة الوطنية

خطة البحث:

إن خطة البحث التي اتبعناها لمعالجة موضوع الدراسة، تتكون من مقدمة وثلاثة فصول ناهيك عن الفصل التمهيدي الذي يتحدث عن سياسة الحكومة العامة في الجزائر قبل الجنرال بيجو،و المقسم إلى ثلاث مباحث تناولت السياسة الاستعمارية في عهد الجنرالات كلوزيل ودامريمون وفالي، كل مبحث تناول سياسة جنرال .

أما الفصل الأول بعنوان الجنرال بيجو قائدا عسكريا في الجزائر، والذي يتضمن ثلاثة مباحث،المبحث الأول يتحدث عن مولد الجنرال بيجو ونشأته وتكوينه، والمبحث الثاني يتضمن معاهدة التافنة كمعلم تاريخي هام ضمن الصراع بين المقاومة وسلطة الاحتلال، أما المبحث الثالث فيتحدث عن تحطيم بيجو لحصون الأمير عبد القادر.

أما الفصل الثاني والذي جاء تحت عنوان الجنرال بيجو حاكما عاما في الجزائر فتناولنا فيه ثلاثة مباحث المبحث الأول سياسة الاستيطان، وفي المبحث الثاني سياسة الأرض المحروقة و الإبادة الجماعية،كما تطرقنا في المبحث الثالث لسياسة المكاتب العربية.

أما الفصل الأخير والذي أدرجناه تحت عنوان مصير سياسة بيجو فقد تطرقنا في المبحث الأول إلى موقف الأمير عبد القادر من سياسة بيجو، وفي المبحث الثاني المواقف الإقليمية و الدولية عن الوضع في الجزائر على عهد الجنرال بيجو والأخير تطرقنا فيه إلى نهاية حكمه في الجزائر.

وأخيرا ختمنا بحثنا بخاتمة تتضمن مجموعة من الاستنتاجات.

الصعوبات:

وكأي بحث علمي تعترضه عدة صعوبات فقد واجهتنا بعض العوائق في موضوعنا أهمها:

- تمثلت في كونه له بعد قانوني وهو ليس بالأمر الهين.
- تداخل وتشابك كبير في جزئيات الموضوع مما وجد صعوبة كبيرة للإلمام بالبحث.
- تطلب الموضوع المصادر والمراجع باللغة الأجنبية مما وجدنا صعوبة في الترجمة الدقيقة الخالية من الأخطاء التي قد تنقص من قيمة الموضوع.
- صعوبة الحصول على الوثائق الأرشيفية نظرا لحساسية الموضوع.

لكننا عملنا على تجاوزها وسنتغلب عليها أكثر بتوجيهات لجنة المناقشة الموقرة التي ستكون لنا نبراسا على طريق البحث في المستقبل.

الفصل التمهيدي

سياسة الحكومة العامة قبل الجنرال بيجو

تمهيد

المبحث الأول: السياسة الاستعمارية في عهد الجنرال كلوزيل

المبحث الثاني:السياسة الاستعمارية في عهد الجنرال دامريمون

المبحث الثالث : السياسة الاستعمارية في عهد الجنرال فالي

تمهيد

خلال النصف الأول من القرن 19 بدأت الدول الكبرى بفرض نظامها الإستعماري على شعوب إفريقيا ولعل من أبرزها الجزائر وبهذا فإن الإحتلال الفرنسي للجزائر يعد حلقة من حلقات الحروب الصليبية الدينية ضد الجنس العربي المسلم، كما يعد حدث ليس وليد الصدفة وإنما جاء كمشروع مخطط له من قبل سادتها وجواسيسها بإحكام لتكلفتهم بتجسيد سياسة السيطرة وإخضاع الجزائريين وتطبيق قوانينها الإدارية و العسكرية لأجل ضمان بقائها في الجزائر للأبد، لكن الفشل كان من نصيب معظمهم فيتم إستبدالهم واحد بآخر وكلما سقط قائد أرسلت فرنسا بديلا له أكثر خبثا وأعمق حقدا، وهذا ماسنتناوله في بداية الفصل التمهيدي الذي هو عبارة عن سياسة الحكومة العامة في الجزائر قبل الجنرال بيجو، والتي تتضمن سلسلة من السياسات للجنرالات كلوزيل دامريمون وفالي

المبحث الأول: السياسة الاستعمارية في عهد الجنرال كلوزيل Comte Bertrand De Clauzel

هو الكونت بيرتران كلوزيل ولد بمدينة إرياج الفرنسية في 12سبتمبر1772[1]، ذهب عام 1792 كنقيب في لفيف منطقة البيرنية،حارب الاسبان وصاحب بيرنيون .**Pérignon** في السفارة بمدريد 1795، أرسل عام 1798 لدى شارل ايمانويل للحصول على إعادة بييمون للجمهورية الفرنسية، مؤيدا هذه المهمة بمهارة الدبلوماسي برتبة جنيرال الفرقة عام 1799وانضم الى غزو سانت دومانق سنة 1801 ثم عاد برتبة جنيرال فيلق، ارسل الى هولندا والى نابل وباراضي إيليريان اخذ مكانا منتصرا في الحملتين بالبرتغال تحت قيادة جينو وماسينا واستبدل مكان مارمون انضم الى لويس الثامن عشر بعد احداث عام 1814وعاد الى جيوش نابليون مباشرة بعد عودته من جزيرة إلب ودخل بوردو ورغم مجهودات انصار الملك المدفوعين من طرف دوقة انجولام في سنة 1816حكم عليه بالاعدام ليعود بعدها الى فرنسا سنة 1820بعد ما أعفي عنه، ثم عين نائبا من الليبيراليين بريتال سنة 1827كل هذه الاعمال زادت من خبرة كلوزيل والتي طبقها بمهارة في الجزائر خاصة مع وجود كل تلك الخيرات بالبلاد مما زاد من شدة طمعه للوصول اليها عين في 7اوت1830 على راس القوات الفرنسية في الجزائر وفي 17نوفمبر 1830 استولى على البليدة لأول مرة[2]وانتهت يوم 20فيفري1831 بوضع وزير الحربية حدا لمهمته في الجزائر. [3]

عاد كلوزيل الى الجزائر وتم تعيينه في 10اوت1835 حاكما عاما في الجزائر، إذ أن قدومه اعطى املا للقوات المسلحة في اعادة الثقة في قياداتها العسكرية [4]، فقد وعد الفرنسيين الجزائر بفتح أبواب الاستعمار وذلك بتشجيع الهجرة الأوروبية إلى الجزائر ليجعل منها أرضا تضاهي أمريكا وقال إنه جاء لفتح أبواب التجارة والأعمال الاستعمارية واستغلال الارض، وقد فعل كلوزيل كل مافي وسعه ليجعل الجزائر مستعمرة تعج برؤوس الأموال الأوروبية وتوزيع الأراضي على كل قادم من أوروبا وتوفر أيضا مختلف المغريات للإقامة والاستيطان.[5]

عرفت فترة حكمه الثانية دفعا جديدا للاستيطان الريفي في الجزائر حيث عمل سنة 1836 على تأسيس أول قرية بالقرب من معسكر بوفاريك تضم 173 قطعة فلاحية مساحة كل منها 4 هكتارات منحت بالمجان في

[1] عيد فارس، الاستيطان الاوروبي في الغرب الجزائري (1831-1847)، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد8،العدد1، 2022، ص45.

[2] حرشوش كريمة، جرائم الجنيرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم (1832-1847)، مذكرة ماجيستير، جامعة وهران، ص66.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية(1830-1900)، ج1، بيروت، دار الغرب الاسلامي ،ط1 ص46.

[4] فتحية بن حميمد، الحملة العسكرية الفرنسية بقيادة كلوزيل على معسكر 1835،قراءة في الحيثيات والنتائج، مجلة الدراسات التاريخية، العدد22،جامعة ابن باديس مستغانم، ص123.

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص62.

المستوطنة وفي أقل من سنة بلغ عدد المستفيدين من الأراضي بالمجان في مستوطنة بوفاريك لوحدها 76 أوروبيا يسيطر كل واحد منهم على 110 هكتار من الأراضي الخصبة وقد سماها المزرعة التجريبية في إفريقيا وسمح للجنود بالاكتتاب فيها كما أنه قام خلال هذه الفترة بالاستيلاء على المناطق القريبة من بابا علي وضم إليها مزرعة حوش حسن باشا القريبة من واد الحراش وبذلك جردت من الأهالي أجود أراضيهم وأرغم عدد من قبائل متيجة على الرحيل منها، وبالرغم من المساعدات التي قدمها كلوزيل للمستوطنين تشجيعا لهم على الاستقرار بأراضيهم واستغلالها إلا أن هذه السياسة لم تحقق نجاحا كبيرا بسبب شراسة المقاومة من جهة ولعدم تأقلم هؤلاء المستوطنين مع الظروف المناخية من جهة أخرى.[1]

قرر كلوزيل إنشاء مراكز بجانب معسكر الجيش الدائم وشرع في التخطيط لمدينة تتشكل من 562 قطعة أرضية مجزأة إلى مساحة ثلث الهكتار للقطعة الواحدة، وتم استخلاص من الحوشين شاوش وبويعقوب 175 قطعة مساحة أربعة هكتارات للواحدة خصصت للزراعة، ويعد كلوزيل من المتحمسين لسياسة الاستعمار والاستيطان الرسمي والحر.

وكان له دور كبير في تنشيط حركة الاستيطان في سهل متيجة إذ جعل منه وطنا حقيقيا للمهاجرين الأوروبيين الوافدين[2] كلوزيل استطاع أن يثبت ركائز الاستيطان وأن يجعل من الجزائر مستوطنة فرنسية بامتياز من خلال القرارات والقوانين التي كان يصدرها ولترويج فكرته أكثر عمل ونظم وأطر للهدف الاستيطاني المنشود.

تميز عهد كلوزيل الثاني بالصراع مع قوات المعارضة السياسية في المدن الجزائرية بالمغامرات العسكرية التي انتهت جميعها تقريبا بالفشل وأماحملاته العسكرية فنذكر منها حملته على معسكر (عاصمة الامير عبد القادر) التي انتهت بالفشل فبراير1836 وقد كانت أنجح من سابقتها.[3]

أراد كلوزيل أن يغسل عار هزيمة المقطع ويظهر قوة الاستعمار، ذهب إلى وهران واستعرض عضلات جيشه أمام المحاصرين من النساء والأطفال والعجزة واليهود والأوروبيين، ثم سار بفلول جيشه ولفيفه الأجنبي ومرتزقته بمافيهم مخزن مصطفى بن إسماعيل وأنصار بوشناق إلى عاصمة الأمير بمعسكر فدخلها 16ديسمبر1835، ولكن الأمير كان أخلاها قبل وصول العدو وأبعد عنها السكان والخزينة وكل مايفيد العدو فإذا بكلوزيل أمام مدينة ميتة أمام

[1] فاتح زياني، سياسة الجيش الفرنسي في دعم الاستيطان الاوروبي في الجزائر خلال حكم الماريشالين كلوزيل وبيجو (1830-1848)، مجلة الأحياء، المجلد20، العدد26، 2020، ص 665.

[2] أرزقي شويتام، سياسة الاستيطان الرسمي في الجزائر (1830-1914)، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد2، العدد2، 2020، ص197.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 63- 77.

موسكو جديدة، فانتقم من الأمير ورجاله بإشعال النيران فيها حتى علت ألسنة اللهب عنان السماء ثم هدأت النيران على أكوام من المباني وأنين الحيوانات وعويل الكلاب.

كان أنصاره يلقبونه سيبيون الإفريقي الجديد ومن خلال تصريحاته الرنانة التي أقسم من خلالها القضاء نهائيا على مقاومة الأمير بإستيلائه على معسكر واحتلال تلمسان لكن حملاته غير المجدية جاءت عكس ما كان يطمح إليه بسبب المقاومة الشرسة للمجاهدين في الغرب الجزائري.[1]

توجه إلى تلمسان 8 جانفي1836على رأس 750 رجل ليفك حصار الأمير عبد القادر لمصطفى بن اسماعيل والكراغلة في الشرق الجزائري، قد تكررت هزائم كلوزيل في كل مكان في المدية البليدة، معسكر، وحتى تلمسان لم يدخلها دخول المنتصر بعد معركة مشرفة، لخص حمدان خوجة رأيه في كلوزيل[2] "لكي أذكر فضائا الجنرال كلوزيل ما علي إلا أن أعد بعض الأعمال الخالدة التي وقعت أثناء ولايته لإفريقيا ففي عهده نهب الأموات في مدافنهم وسمح بالإتجار بالعظام البشرية وبيعت حجارة المقابر ثم نقلت إلى باب الوادي لتحول إلى مادة الجير ووقع الاستيلاء على المقابر".[3]

كانت نتيجة حملة قسنطينة 1836 معروفة، فقد ارتعدت فرائس هذا الجيش، أمام حصون عاصمة الشرق الجزائري، وأبدى المدافعون عنها شجاعة فائقة وصمودا مثاليا في وجه جيش وصل إلى 30 ألف تحميه أسلحة متطورة ومدفعية فتاكة، لم يصل هذا الجيش إلى ضواحي المدينة إلا بصعوبة كبيرة إذ اعترضت طريقه مقاومة أهل الريف بين عنابة وقسنطينة ولقنته درسا قاسيا، وكذلك الحال عند تقهقره عاد كلوزيل إلى الجزائر يجر أذيال الخيبة والعار بعد أن خسر ماء وجهه وخسر معه العديد من جنوده قتل 11 ضابطا وجرحوا، لم يسع حكومة (تيير) التي كانت تنتظر النتائج الإيجابية لتفاوض من مركز القوة وتفرض السلام عن طريق الحرب، إلا أن تضع حدا نهائيا لمغامرات كلوزيل في الجزائر بعد أن افتضحت كل أوراقه في المرتين وقد عين الجنرال دامريمون خلفا له.[4]

---

[1] عز الدين حمامي، فشل القوات الفرنسية بقيادة الماريشال كلوزيل في احتلال مدينة بليدة –قراءة وثيقة مترجمة– مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد01، العدد02، 2019، ص107

[2] كمال بن صحراوي، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن19،doc Alpha ط1، 2020، ص 145.

[3] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق: محمد العربي الزبيري، تص:عبد العزيز بوتفليقة، منشورات Anep، 2005، ص 260.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص63.

فشل كلوزيل في إحتلال مدينة قسنطينة في نوفمبر 1836 وكان قائد الجيش هو الضابط يوسف فوجب عليه التوجه إلى عنابة المحتلة، وعلى أثر هذا الفشل الذريع تم استبداله بالجنرال دامريمون يوم 12فيفري 1837.[1]

وعند عودته إلى فرنسا كان هدفا لهجمات شنيعة على الرغم من خدمته التي دامت 44 سنة وفي الكتاب الذي نشره يدافع عن نفسه قائلا: "مدرك أن الحياة لا عيب فيها، لم تكن أفضل بالنسبة لي من حياة الخيانة، وأن الفقر المدقع يعني لي أقل مما كان سيحققه من ثروة مسروقة، لقد كان بالنسبة لي خرابا رهيبا، سمحنا لمسيرتنا المليئة بالانتصارات أن تتعثر بسبب انتكاسة، ظنوا أنني سقطت بما يكفي ليمنعني من النهوض، لكن أنا أستيقظ وأنهض لأعود لمنزلي ورأسي مرفوع، وأشهر سيفي وأنظر إليه ليس فيه ذهب ولا ألماس في ترصيعه، ليس فيه سوى الدم، إنه دم أعداء فرنسا...".[2]

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص65.

[2] Le Général Paul Azan, Les Grands Soldats De L'Algérie, PP20,21

المبحث الثاني:السياسة الاستعمارية في عهد الجنرال دامريمون Charles Marie Denys De Damrémont

هو شارل ماري دينيس دامريمون ولد في بلدية شوموت **Chaumont** الفرنسية التابعة لمقاطعة لاوت مارن **Haut Marne** في 8 أفريل 1783، شرع في مهامه العسكرية في 24 جانفي 1804، إرتقى في سلم المراتب بعد العديد من المشاركات في العمليات العسكرية في فرنسا من 1806-1807 ثم من 1808الى1809 وإسبانيا والبرتغال من 1811 إلى 1812، وتم إستدعاؤه في 21 جويلية 1830 لقيادة اللواء الأول وترقى لرتبة ملازم أول في سبتمبر 1835، وتم تعيينه للقيام بمهام الحاكم العام للممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا،[1] كان خليفة الماريشال كلوزيل في القيادة في مرسيليا وكان جزءا من الحملة الإفريقية الأولى،[2] وفي 12 فيفري1837 تم تعيين دامريمون حاكما عاما للجزائر بدلا من كلوزيل.[3]

حاول دامريمون الذي خلف كلوزيل أن يحتل مدينة بليدة بصفة نهائية، فجمع قواته ببوفاريك وسار إليها في 29 أفريل1837 وحاصرها فقام بتقسيم جيشه إلى 03 فرق فوج من اليمين والآخر من اليسار والثالث توغل في قلب المدينة، ورغم المقاومة التي تلقاها إلا أن دامريمون استطاع أن ينجح في حملته ويتوغل في المدينة، لكن نكبة الخسائر الكبيرة جعلته ينسحب من بوفاريك.[4]

وقد كان شارل دينيس دامريمون من أوائل الضباط الذين حاولو احتلال عنابة في عهد ديبورمون 1830 فلم يفلح، ولم يكن تعيينه خلفا لكلوزيل عن جدارة وإنما يرجع إلى تدخلات زوجته، ذلك أن المؤرخين الفرنسيين يقولون عنه بأنه كان متعبا قبل الأوان وأنه كان شخصية بدون محتوى، ولعل أخطاء سلفه واستعداده لتلقي التعليمات ممن هو أعلى منه هو الذي رشحه أيضا في فيفري1837، لكي يكون ممثلا للسيادة الفرنسية في الجزائر، فقد كلفته الحكومة ومجلس النواب أن يعمل على أن يكون الاحتلال محدودا ومتدرجا وسلميا، وهو تكليف في الحقيقة فوق

[1] Narcisse Faucon, Le Livre D'or De L'Algérie, Histoire Politique Militaire Administratif, Paris, 1889,P178

[2] L'indépendant De La Moselle, 20 Février 1857,Journal Politique Industiel Et Orgricole De Département De Le Moselle

[3] Michel Biesse Eichelbrnner, Constantine La Conquête Et Le Temps Des Pionniers, Anatole France, P13

[4] رزيقة محمدي، المقاومة الشعبية بمتيجة (1830-1840)، مجلة متيجة للدراسات الانسانية، العدد06، المجلد03، 2016، ص 143

طاقة دامريمون وضباطه المتعطشين للغزو والتسلط أمثال بيجو وفالي و بيريغو،[1]وكان هذا الثالوث هو العنصر الفعال في جيش دامريمون، حيث عين بيجو على إقليم وهران خلفا لبروسار في نفس الوقت الذي تم فيه تعيين. دامريمون حاكما عاما، أما فالي كان في ذلك الحين عبقرية جيش الاحتلال في المدفعية، أما بريقو فقد كان متوليا قيادة الأركان ومحل ثقة الحاكم العام الجديد.

وأثناء مناقشة الحكومة لميزانية الجزائر وخصوصا ميزانية الحملة الجديدة ضد قسنطينة، انطلقت المفاوضات في كل إتجاه مفاوضات بين الأمير عبد القادر وبيجو التي انتهت بمعاهدة التافنة، ومفاوضات أخرى بين الحاج أحمد ومبعوثي دامريمون بواسطة اليهودي بوشناق،[2] كان هدف المفاوضين الفرنسيين مع الجزائريين اعتراف بالسيادة الفرنسية بدفع إتاوة سنوية لفرنسا وذلك ما رفضه الطرف الجزائري.[3]

كانت قوات الحملة هذه المرة تبلغ 20.400 جندي معززة بمدفعية كافية ومؤونة احتياطية معتبرة، وقد توزعت المهام على نحو التالي، تولى الحاكم العام دامريمون قيادة الحملة بنفسه أمام رفض بيجو خوفا من العواقب وكذلك أمام خوف الملك الفرنسي على حياة إبنه وولي العهد الدوق دورليان،[4] الذي فضل أن يشارك في الحملة كضابط لا كقائد لها، وقد تجمع جيش العدو في مجاز عمار قرب قالمة.[5]

وصلت القوات خلال 05 أيام إلى هضبة المنصورة دون أن تتعرض للمخاطر بشكل جدي، المهمات كانت تشتغل بشكل سيء ولقد تم تدعيم التحصينات منذ المحاولة التي قام بها كلوزيل، وكان أحمد باي قد أسند الدفاع عنها لإبن عيسى وتم الهجوم من كدية عطية التي جلبت المدافع بصعوبة، وقتل دامريمون عشية ذلك اليوم وكذلك قائد أركانه الجنرال بيريغو،[6] قتل في 12أكتوبر 1837 وتم تعويضه بالجنرال فالي.[1]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص64.

[2] إبراهيم بوشناق: اصوله تركية، وكان قائدا لمجموعات مسلحة من الجزائرين تكونت لخدمة فرنسا وبواسطته تمت كل مفاوضات الفرنسيين مع الدواوير والزمالة جوان 1835 استبقى كلوزيل على إبراهيم بوشناق بايًا على مستغانم وكان قد تقلد عدة مناصب في وهران، عزله الجنرال ديميشال فنقل إلى وهران لقيادة فرق من الأتراك برتبة عقيد ثم عينه كلوزيل من جديد بايا على مستغانم من في جانفي 1836، وظل في الخدمة مدة إلى أن تم عزله من جديد بعد معاهدة التافنة (ينظر: كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 21).

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص66.

[4] دوق دورليان: ولد ببارم في 1810 وتوفي في 1842، أكبر أبناء الملك لويس فيليب وولي عهده، كلف عام 1835 بالسيطرة على معسكر تحت إشراف الماريشال كلوزيل، وفي 1839 عاد إلى الجزائر تحت قيادة الماريشال فالي ليقود قسما من الجيش باتجاه قسنطينة. (ينظر: كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 93).

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص66.

[6] شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: جمال فاطمي وآخرون، مج1، الجزائر، دار الأمة، 2013، ص ص 244- 245.

المبحث الثالث : السياسة الاستعمارية في عهد الجنرال فالي 1837 – 1840م

سيلفان شارل فالي Sylvain Charles Valée، ولد فالي في 17 ديسمبر 1773م في برين لوشاتو **Brienne le château** بفرنسا وتوفي في 16 أوت 1846 م بباريس، حل في الخدمة العسكرية الفرنسية وخدم العديد من حروب الإمبراطورية الفرنسية، وعندما تقاعد من الخدمة في الجيش كان يحمل رتبة ماريشال فرنسا وهي أعلى الرتب العسكرية في الجيش الفرنسي، نشأ يتيما منذ طفولته المبكرة تكفلت بتربيته عائلة لوميني **L'omanie** بمدينة بريان، أدخلته هذه العائلة المدرسة العسكرية بنفس مدينته منذ سن الثامنة تحت الرعاية الملكية انتقل فالي بعد إغلاق مدرسته إلى مدرسة المدفعية بشالون **Chalons** برتبة ملازم أول، وفي سنة 1793م إرتقى إلى رتبة ملازم في سلاح المدفعية وشارك في عدة معارك في بداية الثورة الفرنسية خدم في جيش الراين الفرنسي حيث ظل لعدّة سنوات ولم يرتقي إلى رتبة الرائد chef d'éscadron إلا في سنة 1802م ثم عقيدا بعد انتقاله إلى عدّة جهات في 12 جانفي 1807م،[2] وبدأ مساره المهني كأسلافه في ظل الإمبراطورية وعين جنرالا في سن 36، وبرز نجمه خلال الحرب الإسبانية حين حضر قرابة الخمسين عملية حصار وقاد مدفعية الميدان مدة عشر سنوات، واعتبر كأفضل اختصاصي في خدمة المدافع في أوربا.

قبل فالي وفاءًا منه للأسرة المالكة التنقل إلى الجزائر والإلتحاق بدوق نمور **Duc de nemours** للإعداد للحملة على (الجزائر) قسنطينة، وأثناء التحضيرات للحملة الثانية على قسنطينة في سنة 1837م وُضع تحت أوامر دامريمون، فتقرر قيادة فالي سلاح المدفعية،[3] وبمساعدة الجنرال كارمان حيث تكونت القوات من 362 مدفعي، بعد تمكن الجيش الفرنسي من حصار قسنطينة لمدة خمسة أيام، أصابت طلقة نارية الجنرال الكونت دامريمون فتوفي على إثرها في 11 أكتوبر 1837م، بعد وفاته عقد مجلس الإدارة جلسة على الفور فكان فالي أكثر شخصية عسكرية مناسبة لهذا المنصب، فخلفه في قيادة الجيش المحاصر لقسنطينة، وقد أظهر في مهامه هذه قوة وحنكة وسلاسة في تطبيق التعليمات.

وصفه شانغاريني[4] الذي خدم تحت أوامره بقلمه قائلا: "لم يتأخر الماريشال الجديد في سن يعصى على الجميع إصلاح نفسه فيها، محركًا للأحكام المسبقة في التحلي بالرؤية الشاملة والثاقبة الجديرة بقائد جيش حقيقي، وكان

---

[1] La Vérité Sur Le Générale Damrémont, 1837,p6

[2] سيساوي أحمد، البعد البايلكي في المشاريع الاستعمارية الفرنسية من فالي الى نابليون الثالث 1838-1871، رسالة دكتوراه،جامعة قسنطينة2، 2013 -2014، ص 46.

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص247.

[4] شانغاريني إسمه الكامل Ahhethéodule changarhier Nécolas ولد في 26 أفريل 1793م بـ Amtuh كان طالبا في كلية الحقوق حيث دخل في خدمة الملك عام 1815م، وجاء للجزائر مع جيوش الحملة 1830م، وقد تميز شانغاريني ضمن عمليات تموين الجيش الفرنسي، لذلك تمت ترقيته، عمل تحت إمرة الدوق دومال إذ كلفه بجهة الجزائر العاصمة، عين نائبا لكافينياك

يفضل لامتلاكه عقلا راجحا ولثقافته واسعة الأداب على مجتمع الرجال وكلفته نزاهته وإخلاصه لعمله ولفرنسا عدم استعداده للتباهي بالخدمات التي يقدمها شخصه، عداء المتآمرين والمتشدقين الذين كان يحتقرهم، إنه أصفى الشخصيات المتميزة التي تسنت لي معرفتها".[1]

كان ريموزا Rémusat يحمل حقيبة الداخلية في الديوان الثاني لتيير Thiers، عندما تقرر استدعاء فالي Valée وإستخلافه بييجو في ربيع سنة 1840م، قد أورد في مذكرته قائلا: "كان يتميز بعقل صلب وثاقب وطبع وقور وبارد وحازم ولم تكن له من القيادة إلا الإرادة، بإرادة صلبة صامتة ومتفننة لم يكن يستحوذ على الرجال، ولم يكن يبحث عن النصائح ولم يكن يطيقها وكان من الصعب عليه إتخاذ القرارات ولما يتخذها لا يتراجع عنها أبدًا ...، وكان متذمرًا ولم يكن محبوبًا ...، ويواجه كل شيء بقوة عطالة لا يمكن التغلب عليها".[2]

تم تعيين فالي بشكل سريع ومتوال كحاكم بالنيابة في 25 أكتوبر، ومارشال في 11نوفمبر، وحاكم بشكل نهائي للجزائر أول ديسمبر، وبقي في هذا المنصب ما يفوق ثلاث سنوات.[3]

سقطت قسنطينة يومي 13 و14 أكتوبر 1837م، ومن الثغرات التي فتحت هناك دخل الغزاة قسنطينة ضحوة يوم الجمعة، لكنهم اضطروا إلى خوض حرب شوارع من بيت إلى بيت، استشهد فيها المئات من الجزائريين دفاعا عن العرض والأرض، كما قتل فيها أمثالهم من الهاربين من جحيم المحتليين عبر الأودية السحيقة تقطعت بهم حبال النجاة وتمزقت أجسامهم على الصخور،[4] كتب ربون دوفلور في هذا على يومياته: "تمكنوا من طرد العدو من الثكنة (e)... وضد ضربات المأذنة (m)... وعندها أعلن عن وقف الكامل لإطلاق النار، وهروب العرب من جميع الجهات، وأعلنا عن انهزام المقاومة والاستلاء على المدينة"[5] وظل الغزاة ينهبونها ثلاثة أيام متتالية.

وقع فالي في نفس المشكلة التي وقع فيها ديبورمون صبيحة الاحتلال وهي صعوبة إحلال الإدارة الفرنسية الجديدة محل الإدارة العثمانية في قسنطينة إذ أبقى على الهيكلة الإدارية التركية تقريبا منتهجا في ذلك تطبيق سياسة

الحاكم العام للجزائر، غير أن نابليون الثالث نقم عليه وعزله فتوجه إلى السياسة ونظرا لشهرته صار نائبا في البرلمان وفي مجلس الشيوخ، توفي بباريس في 14 فيفري 1877م، ينظر: (كمال بن صحراوي، المرجع السابق ص 115).

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 248.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع نفسه، ص249.

[3] قاصري محمد سعيد، المرجع السابق، ص 175.

[4] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، الجزائر، دار المعرفة، 1982، ص 117.

[5] توفيق دحماني، قسنطينة عشية الاحتلال الفرنسي 1837م من خلال وثائق نادرة، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد11، العدد01، 2010، ص 140.

الحماية بتلك الناحية من البلاد، تكون فيها إدارة الأهالي من الأهالي أو حتى إستقدام أعيان المدينة ومنحهم الألقاب العثمانية ولكن تحت وصاية السلطة العسكرية،[1] "فعهد بإدارة المنطقة إلى ثمانية من كبار زعماء المسلمين".[2]

فكر فالي في عقد اتفاق مع أحمد باي[3] يعيده إلى قسنطينة والإعتراف بسلطته بغرض تحقيق الإعتراف بشرعية الوجود الفرنسي على إقليم الشرق الجزائري وهذا مايتضح من خلال ما جاء في رسالة الجنرال فالي إلى أحمد باي بتاريخ 24 أكتوبر 1837م.

أولا: إعتراف الحاج أحمد باي بسلطة فرنسا.

ثانيا: أن فرنسا تعطي إلى الحاج أحمد باي منصب الباشا.

ثالثا: أحمد باي يدفع لفرنسا اللزمة السنوية والتي قدرها عشرين ألف دورو كل عام.

رابعا: تعيين أحمد باي لإدارة جزء من مقاطعة قسنطينة مع احتفاظها لنفسها بجميع المراسي التي على البحر بوطن قسنطينة.

خامسا: إلتزامه بعدم شراء أي سلاح ولا بارود ولا غيره من آلات الحرب إلا من صفقة مع فرنسا.

سادسا: إلتزام فرنسا بتسليمه قسنطينة وكل ما فيها عندما يحين الوقت،[4] إلا أن الباي الحاج أحمد رفض هذه الاقترحات بحجة أنه لايستطيع عقد أي صفقة دون موافقة السلطان، وتوالت اقترحات أخرى وأصبحت ملحة أكثر حتى بلغت المطالبة بالإستسلام غير المشروط، وبعد انقطاع المحادثات وتوقفها انتهى الأمر بالباي السابق الذي تخلت عنه الأجواد ولاحقه الفرنسيون وأصبح هائما دون توقف وعرضه للمشاكل الى الإستسلام سنة1848م وعاش في مدينة الجزائر حتى وافته المنية بعد سنتين من ذلك التاريخ.[5]

---

[1] صالح فركوس، الإدارة الاستعمارية والمجتمع الجزائري 1830-1844، مجلة حوليات مجلد01 العدد 01، 2007، ص 79.

[2] شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، بيروت، دار منشورات عويدات، ط1، 1982، ص 29.

[3] أحمد باي: هو الكرغلي أحمد بن محمد الشريف بن الباي أحمد القلي، كان ينسب الى أمه فيقال له الحاج أحمد بن الحاجة الشريفة وهي من أولاد بن قانة، ولد عام 1786م، وتربى في بيت أخواله في بيئة بدوية تعلم فيها الفروسية وتدرب على القتال وفي سن الثلاثين صار خليفة لباي قسنطينة فاكتسب ثقة الناس، حضر واقعة دخول الفرنسيين الى الجزائر عام 1830م وبعدما استطاع الفرنسيون احتلال مدينة قسنطينة في 20 أكتوبر 1837م، رغم المقاومة الشديدة توجه أحمد باي إلى الجنوب وظل يقاوم إل أن توقفت مقاومته بإستسلامه للضابط سان جرمان يوم 1848.06.05م وفرضت عليه الاقامة الجبرية في مدينة الجزائر حتى وافته المنية عام 1850م، ينظر: (كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص ص 36 - 38).

[4] توفيق دحماني، المرجع السابق، ص144.

[5] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 255.

تم احتلال مدينة سكيكدة في 07 أكتوبر 1838م بعد نجاح حملة المارشال فالي عليها، وقد تم بناء المدينة الجديدة Philippe ville على أنقاض المدينة القديمة روسيكادا تمجيدا لملك فرنسا لوبيس فيليب، وقد صاحب التوسع الاستعماري في المنطقة تطبيق قوانين الإدارة الفرنسية وتعرضت إقليمها للإستغلال وأراضيها للمصادرة ووضعت السلطة الفرنسية تنظيماتها الإدارية والسياسية على المنطقة، وبدأت بتطبيق مخططاتها فور قبول الملك لويس فيليب عرض فالي بتسمية المدينة باسمه في 17 نوفمبر 1838م، ذلك بعدما عرفت باسم مركز فرنسا Fort de france لمدة شهر كامل بعد احتلالها.[1]

عززت ودعمت القوات الفرنسية في مدينتي البليدة وبوفاريك على إقدام جبال الأطلس، وارتفعت القوة الفعلية التي أصبحت تحت تصرف المارشال فالي إلى 30.000 محارب واتبع خطة جديدة في الهجوم تقوم على ثلاثة عوامل هي:

- الإستيلاء على المراكز التي أقامها الأمير عبد القادر وتخرينها بما في ذلك مخازن الأسلحة، ومستودعات تموينه ونحوها.
- مهاجمة وسحق جنده النظامي الذي يعتبر العمود الفقري لقوته.
- الإحتلال الدائم للمقاطعة الأهلة بالقبائل العربية الرئيسية لإقتناعها بعدم قدرة سلطانها على الدفاع عنها أو حمايتها وبالتالي تحطيم سلطته ونفوذها.[2]

ويومئذ احتدم القتال بين الفريقين واشتدت الحرب والتحق بجيوش العدو من فرنسا ثلاث وستون ألف جندي وتصادف الجمعان فانهزم المسلمون وتمكن العدو من احتلال مدينة البليدة في 31 ديسمبر 1839م،[3] وذكر فالي ذلك في قوله: "قاتلت القوات في ذلك اليوم بشجاعة وإتزان ملحوظين وقد اكتسبت الفرقة 2 و17 والفرقة 23 والفرقة 01 سلاح المدفعية ومفارز المهندسيين ألقابا جديدة في تقدير الجيش، فقد أدوا جميعا واجبهم وأخص بالذكر على وجه الخصوص أصحاب السعادة العقداء دي بورجولي وشانغاريني وجيرويلر الذين قادوا القوات بنشاط غير مألوف ويذكر المارشال أيضا عددا من الجنود الذين تميزوا في هذه القضية".[4]

---

[1] توفيق صالحي، نشأة المراكز الاستيطانية الأوربية بإقليم سكيكدة بين سنتي 1838-1870م، المجلة التاريخية الجزائرية المجلد06، العدد01، 2022، ص864.

[2] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، دس، ص 187.

[3] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج5، الجزائر، دار الأمة، د.ط، 2010، ص22.

[4] APPORT.AR.M Le Maréchal valée AS.E Le Ministre De La Guerre sur leconbat Du 31 Décembre 1839, p 05

ثم استعد فالي بالتحرك نحو المدية وملیانة وهناك ظهرت فرسان الأمير عبد القادر في عدد كبير فقد كان هدف عبد القادر إرغام فالي عن التخلي عن التقدم في سهل وادي شلف واضطراره إلى الدخول للجبال عن طريق مضايق المزاية وقد نجح في ذلك، وقد سعى الأمير لتصبح تلك المضائق الهائلة أكثر قدرة ومتعة وأقوى تحصينا حتى يلاقي "الجيش الفرنسي حتفه هناك" إلا أنهم تغلبوا على صعوبات الطبيعية الجغرافية ودخل فالي المدية فوجدها مهجورة ونصف محروقة فأصدر الأمير أوامره بتجنب الاشتباك مع القوات الفرنسية بمعركة نظامية، وإنما نصب الكمائن والهجمات ثم الانسحاب، حيث نجحت هذه الطرائق مما وضع القوات الفرنسية في حالة انهيار معنوي وأوشك المعسكر على الإختفاء تحت تأثير العديد من العوامل وأهمها الجوع والمرض والغربة فمات 750 جنديا من أصل المجموع الحامية البالغ 1500 جندي ودخل المستشفى 500 جندي لإصابتهم بالحمى أما البقية وعددهم 250 جنديا فكانوا هياكل متحكمة لا يكادون يمسكون ببنادقهم.[1]

طرحت اللجنة التي درست مشروع ميزانية سنة 1841م مجددا مسألة احتلال الجزائر وأعاد المناهضون للإحتلال الذين تخلوا عن طرح الإخلاء إحيائه من جديد وبقوة متحججين في ذلك بمبرر الأزمة الدولية،[2] وقررت عزل فالي واستبداله بالرجل الذي أصبح صوته هو صوت المنادين في البرلمان بالحرب الشاملة ضد الأمير وهو الجنرال بيجو.[3]

[1] بسام العسلي، الأمير عبدالقادر الجزائري، بيروت، دار النفائس، ط3، 1986، ص 137.

[2] شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 268.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص216.

الفصل الأول

الجنرال بيجو قائدا عسكريا في الجزائر

تمهيد

المبحث الأول: المولد والنشأة

المبحث الثاني: معاهدة التافنة

المبحث الثالث: تحطيم بيجو لحصون الأمير عبد القادر

تمهيد

إن المتتبع لسياسة القادة الفرنسيين في الجزائر بداية الاحتلال، يدرك أن سياستهم كانت وفق مزاجهم وأنظمتهم حسب أهوائهم، وقد خاضو مع الثوار الجزائريين معارك وحروب بأساليب مختلفة، لكن لم يتمكنوا من القضاء عليها أو إخضاع القبائل الرافضة لجبروت الاحتلال، ونقضهم الصريح لبنود معاهدة تسليم مدينة الجزائر كما إشتدت المقاومة الوطنية المنظمة غرب البلاد وشرقه وفي كل مرة يتم إستبدال الجنرالات الفرنسيين في قيادة الجيش الفرنسي لتوسيع الإستعمار والقضاء عليها، لكن دون جدوى تذكر، حيث قويت شوكة الأمير عبد القادر وأصبحت خطرا يهدد الوجود الفرنسي غرب الجزائر، كما اشتدت المقاومة الوطنية شرقا بزعامة الحاج أحمد باي الذي شكل خطرا لفرنسا، فأرسلت الإدارة الإستعمارية للماريشال بيجو بالمجيء للجزائر بغية القضاء على المقاومات الشعبية ورأت أنه العسكري المناسب لهذه المهمة.

المبحث الأول: المولد والنشأة

توماس روبير بيجو " Bugeaud de la lapiconneri Thomes Robert"ولد في 15 أكتوبر 1784م في مقاطعة لا دورانتي، من أم إيرلندية، ابن جان أمبرواز بوغود وهو رجل نبيل من بيريغورد، ألقي بوالده في السجن عام 1793م أثناء الثورة الفرنسية، توفيت والدته وهو في سن 12 من عمره أي عام 1796م،[1] وقد قضى طفولته وشبابه في الملكية العائلية بلادورانتي قرب إيكسيداي على أرض بور، ولقد عاش حياة مزارع بسيط أكثر منها حياة ابن نبيل، وقد أدرك كل أسرار خدمة الأرض محتفظا بتلك المعرفة المباشرة الحسية لشؤون الأرض التي تجعل الفلاح منسجما مع الطبيعة،[2] وتربى تربية الريفي ذو العزيمة القوية التي تكسوها الكثير من القسوة خاصة وأنه تربى يتيما.[3]

أظهر بيجو منذ شبابه أنه ذو مزاج شكس، ولم يغادره هذا المزاج أبدا ولقد فضحت أولى رسائله في كتيبة الجند وجهة نظره في أقاربه حيث قال: "لقد وعظوني مرارا حول مزاجي إلى درجة أني أحترس من ذلك كثيرا، فإنا دائما شديد الحذر حتى لا أفشي كل ما تتوقعه مني أسرتي".

وقد اندهش لكون إحدى أخواته صرحت بأنها لا ترغب على الإطلاق في العيش معه، وقد اتخذ قرار تجنيد هذا الشاب السيئ الطبع في الجيش حيث كانت طموحاته الالتحاق بالجيش من أجل تحقيق غاياته والوصول إلى أعلى المراتب، لذلك التحق بالجيش الفرنسي وهو في سن العشرين من عمره في يونيو 1804، وقد تم قبوله من باب وقائي في فرق رمي القنابل اليدوية التابعة للحرس، وكان بوسع الشباب اللذين عجزوا عن الالتحاق بمدرسة الضباط في فانتنبلو Fontaine bleau لنقص في التعليم أن يتقلدوا رتبة ضابط في وقت وجيز، ولقد خاض وهو في رتبة جندي عمليات حربية كمعركة أوستر ليس 1805، وعانى قطع مسيرات شاقة محملا بحقيبة الظهر ولمسافات طويلة كان لا يأكل أثناءها سوى ما غنمه من السلب ولم ينسى أبدا تلك المدرسة الشاقة،[4] وتحصل على رتبة ملازم أول بعد اثنين وعشرين شهرا،[5] فسعى إلى تجنيب جنوده معاناه، وشارك في حملات بروسيا، بولونيا ثم إلى اسبانيا، حارب في اسبانيا لمدة 06 سنوات وتوصل إلى رتبة عقيد.

---

[1] Duc D'isly, Bugeaud de la colonisation de l'Algérie- colonisation militaire-, Alger, 1847, p33.

[2] شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 284.

[3] حرشوش كريمة، مرجع سابق، ص 147.

[4] شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 290.

[5] بسام العسلي، الماريشال بيجو 1784- 1849، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1982، ص 11.

عين برتبة ملازم ثاني في حرس نابليون الإمبراطوري سنة 1806م،[1] حارب النمساويين وتغلب عليهم بعد معركة عنيفة عام 1815م، توج برتبة قبطان وتلقى تدريبا خاصا في القمع والإجرام في عهد نابليون الأول لذلك كان حكمه يمثل الصورة القاسية ومخططاته تضمن الإضرار بالسكان في أرزاقهم وممتلكاتهم ومحاصيلهم.

رقاه لويس 18 إلى رتبة كولونيل في 1814م، حينما كانت قوات الحلفاء تحتل فرنسا، ترك الجيش برتبة عميد في منتصف ماي 1815م، حيث فصل من قبل "بوربون" فانسحب إلى ممتلكاته بـ"Excideuil" وعمل مزارعا حتى 1830م[2]، وراح يغير من وجه لادورانتي ليجعل منها مزرعة نموذجية وقد استعصى عليه كثيرا مقاومة شعور روتين الحياة الريفية ولكنه تمكن من ذلك بفضل النتائج التي حققها، وقد أصبح شخصية فلاحية نافذة في لادوردون "Ladordogue" حيث أنشأ جمعية للمزارعين ثم الغرفة.[3]

وبعد ثورة جويلية واحتلال الجزائر أعيد بيجو لاستئناف خدمته في الجيش يوم 08 سبتمبر 1830م،[4] وكان عام 1831م، تاريخا حاسما في حياته بعد تقليده رتبة مارشال وانتخابه نائبا، وراح منذ ذلك الوقت يكرس جهده لأنشطته كمالك لأرض عقارية وبرلماني، لاحظ باعتزاز مشروع مدى النفوذ الذي كان يمارسه على سكان منطقة بيريقور périgord قائلا: "كانوا يستشيرونني ويستشهدون بي ويطلبون مني برامج زراعية لهذه الضيعة أو تلك، وأنا فخور كوني استطعت أن أفيد غيري وأن اشتهر في الميدان الفلاحي، "ولقد أصبحت لادورانتي بعد أن توسعت بفضل شراء الأراضي المحيطة بها من أخصب الأراضي الزراعية في منطقة بيريقور وقد وكل مراقبة تسييرها إلى وكلاء.

وفي غرفة البرلمان حيث كان يشعر بارتياح كبير رغم احتقاره للسياسيين الذين كان يمكر بهم، وكان مزاحه يثير غضب النواب تارة ويضحكهم تارة أخرى،[5] استطاع بيجو الحصول على ثقة لويس فيليب وأصبح من المقربين في البلاط سنة 1833م، وبدأت مغامراته العسكرية في الجزائر منذ سنة 1836م لما تم استدعاءه إليها.[6]

وكانت الدروس التي استخلصها من الحرب التي خاضها في اسبانيا هي التي استغلها أحسن استغلال في حملاته العسكرية في إفريقيا، ولقد واجه هناك عدوا يدافع عن أرضه باستماتة ليس في نطاق معارك دامية الوطيس

[1] بسام العسلي، الماريشال بيجو، المرجع السابق، ص 11.
[2] حرشوش كريمة، المرجع السابق، ص 147.
[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 284.
[4] بسام العسلي، الماريشال بيجو، المرجع السابق، ص 11.
[5] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 292.
[6] بسام العسلي، الماريشال بيجو، المرجع السابق، ص 11.

وإنما برصد كمائن وهو ما جعله يتدرب على القتال الهجومي والغارات المفاجئة الشجاعة والقتال في الخطوط الأمامية.[1]

فاوض الأمير عبد القادر على اتفاقية التافنة في 30 ماي 1837م، وفي أوائل سنة 1841م، عين حاكما عاما للجزائر حتى أواخر 1847م، وأصبحت مناوراته ضد العرب بارزة، فقد أصبح يوسع الاحتلال بتوزيع الأراضي على المعمرين، كما كان يساهم بنفسه في إحراق القرى وتخريب الزرع.[2]

يقول صلاح العقاد في كتابه "المغرب العربي الجزائر" – المغرب الأقصى – تونس، اكتست الحرب التي شنها الجنرال بيجو ضد الشعب الجزائري بالطابع الإجرامي والعنف وإلى حد أن سكان الجزائر تناقص حسب تقرير أحد الضباط الفرنسيين من 4 ملايين إلى 3 ملايين نسمة في مدى 7 سنوات، بل إن حمدان خوجة صاحب كتاب المرآة يقول في تقريره: إن السكان الجزائريين تناقصوا من عشرة ملايين إلى ثلاثة ملايين نسمة.[3]

عين الجنرال بيجو حاكما عاما على الجزائر بموجب مرسوم الملك الصادر في 29 ديسمبر 1840م، ودعا الوزير إلى أن يلتحق بمنصبه في أقرب وقت ممكن، إلا أنه تأخر في المجيء إلى الجزائر لأنه كان يريد أن يتأكد في غضون ذلك من إعادة انتخابه على منطقة إيكسدوي EXCIDEUIL، فقد وصل بيجو إلى الجزائر يوم 22 فيفري 1841، في الساعة الثانية بعد الظهر على متن الباخرة، وقد منح جميع التشريفات التي تليق برتبته، وقد رافقه حشد كبير من الأروبيين والسكان الأصليين إلى فندق الحكومة.[4]

كان بيجو عشية تعيينه حاكماللجزائر مقتنعا بالاحتلال الشامل وبالتنمية، وكان يعلن عزمه ليس على الحرب فحسب وإنما على الإدراة والاحتلال أيضا، وحول جميع المسائل المتعلقة بالحكم والاستيطان والإعمار والإستغلال،[5] خاض في سنة 1844 معركة إيسلي ضد المغرب وانتصر فيها، فمنح لقب كونت أو دوق إيسلي وسبق أن قتل نائبا في مبارزة، كما عمل على اغتيال الباريسيين لتجار حرير ليون، وهو مشجع لتطوير المقاطعات الفرنسية ولإستقرار فرنسا في الجزائر.[6]

---

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 291.

[2] حرشوش كريمة، المرجع السابق، ص 148.

[3] سعدي بزيان، جرائم فرنسا في الجزائر، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص ص 15- 16.

[4] Le Maréchal Bugeaud 1784-1849, paris, 1885, p203.

[5] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص361.

[6] برونو إيتين، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، الجزائر، دار الفارابي، ط2، 2001، ص 187.

كان إرسال بيجو إلى الجزائر سنة 1840م دليل على إصرار الحكومة الفرنسية على تسريع تنفيذ مشروعها الاستيطاني لذلك اعتبر الغزو طريقة حربية مشروعة وضرورية، فكل شيء يقف أمام الوصول إلى هدفه كان لزاما عليه أن يزيله مهما كان الثمن، ثم عاد بعدها إلى فرنسا ليصاب بالكوليرا في 6 جوان 1849م ليموت بعدها بثلاثة أيام أي 10 جوان.[1]

[1] Duc D'isly, Robert, Duc, D'isly Maréchal De France, 1784, 1849, p 19.

المبحث الثاني: معاهدة التافنة

استدعاء الجنرال بيجو إلى مستعمرة الجزائر:

كتب المارشال ماركيز ميسون Marquis Maison إلى الجنرال بيجو في 25 ماي 1836 قائلا: "جنرال لقد أبلغتكم بالفعل عن نية الملك بأن تغادر على الفور باريس وتتمركز في ميناء طولون، حيث يتم نقلك إلى وهران ومنها إلى منطقة التافنة حيث الجنرال دارلانج الذي أنشأ معسكر هناك مع قوات لتسهيل الاتصالات بين جزيرة رشقون وتلمسان، وعند وصولك إلى التافنة ستتولى قيادة القوات هناك، الجنرال دارلانج سوف يتلقى أوامرك لشن العمليات العسكرية وسوف تفحص الأعمال الدفاعية المنفذة عند التافنة، وسيتم وضع قوات تترك في المخيم للحراسة في موضع يمكن أن تواجه مقاومة أو هجوم عربي سوف تصل إلى تلمسان بكل قواتك وتضرب العرب والقوات الأخرى التي تسعى إلى معارضة تحركاته، وقد وصلت التعزيزات الفرنسية من مارسيليا إلى التافنة من 4 إلى 6 جوان، أما الجنرال بيجو فقد هبط في نفس الوقت مع قواته وخيموا على ضفتي التافنة، وتم إبلاغ الجنرال ربتال Rabtal بوصول الجنرال بيجو وقد سارع في الأخير على تقديم وتنظيم الخدمات المختلفة للقوات الفرنسية التي سيتم تجميعها في التافنة".[1]

وفي 10 جوان 1836 كان الجنرال بيجو مستعدا للهجوم بعد أن علم أن الأمير عبد القادر أرسل قواته بجانب وهران إلى إحراق حصاد حلفاء الفرنسيين وأن معسكره كان في واد سنان حيث توجه إلى وهران أولا بدل الذهاب إلى تلمسان وغادر هناك لأن العرب كانوا قريبين وكان علينا – يقول المؤلف– أن نتجنب التعرض للهجوم أثناء عبور الممرات الخطيرة ولكن صعوبة السير ليلا في بلاد غير معروفة، فيه ضرر سرعان ما حلب الفوضى والرعب للكولون وهل الجنرال بيجو إلى وهران عن طريق البحر بعد عودة العقيد الكولونيل تامبو Tampour وكان تراجع قوة أحمد باي في قسنطينة، كان من الضروري صنع السلام مع العرب (الأمير عبد القادر) لذا كان لابد من اختيار رجل الحرب المناسب والمفاوض، فعين الجنرال بيجو لتحقيق هذه المهمة.[2]

ولما عرف بيجو من أصدقائه في وهران ميل الأمير عبد القادر إلى التفاوض لعقد الصلح عرض خدماته على وزير الحربية لتعيينه قائدا على قوات الاحتلال في مدينة وهران بشرط واحد وهو منحه الصلاحيات الضرورية للتعاقد

[1] طعبة حورية، سياسة الماريشال بيجو في مستعمرة الجزائر (1836-1848)، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المجلد06، العدد01، 2021، ص 05.

[2] طعبة حوية، المرجع نفسه، ص 05.

مع الأمير،[1] وإذا فشل في تلك المهمة يقوم بحملة عسكرية واسعة النطاق ضد الأمير عبد القادر ونظرا لثقة لويس فيليب في بيجو فقد وافق وزير الحربية على تكليفه بمهمة التفاوض مع الأمير مع منحه صلاحياته مطلقة دون العودة إلى الحاكم العام دامربون وذلك في أفريل 1837 وبعد عودة بيجو إلى الجزائر فإنه أرسل رسالة إلى الأمير عبد القادر من وهران على يد ابن دران تمثل الصيغة النهائية التي وافقت عليها الوزارة لمفاتحة الأمير في إمكان عقد الصلح وجاءت الاقتراحات على أساس:

- التفاهم وعقد الصلح.
- الاعتراف بالسيادة الفرنسية.
- تحديد منطقة نفوذه بنهر الشلف.
- دفع الجزية لفرنسا.

ولما اطلع الأمير على هذه الشروط التي وجدها غير مقبولة، كلف ابن دران بأن يبلغ بيجو مذكرة شفوية مفادها: "إن الأمير يرى أنه في مقام أعظم وأعلى فلا يمكنه أن يقبل هذه الشروط المجحفة بمقامه."،[2] المسألة التي كانت محل نزاع، أساسي بين الأمير عبد القادر وبيجو فهي تتعلق برسم الحدود الشرقية لدولة الأمير، لم يكن الأمير مستعدا للتخلي عن ولاية التيطري بعد ما يعد أهله وسلموا إليه أرواحهم وأموالهم ثم أضاف أن الأمير يسمح بمايلي:

سمح الأمير للفرنسيين أن يحكموا سهل متيجة ما عدا البليدة منح الفرنسيين ضواحي وهران والشواطئ التي تمتد من وهران إلى مستغانم دون سواهم، ورغم أن هذه المقترحات لم تلق تجاوب من قبل بيجو فإن الإتصالات ظلت مستمرة بين الأمير وبيجو من جهة ومن جهة أخرى فقد ساور الأمير القلق، حيث كان يتساءل كيف يمكن للضباط، تنحصر سلطته في وهران أن يتفاوض باسم ملك فرنسا لعقد معاهدة الأراضي الجزائرية كلها، مما جعله يتوجه إلى الوالي العام الجنرال دامريمون يحيطه علما بالإتصالات مع بيجو ويسعى للتفاوض معه مباشرة، ونظرا للمسافة البعيدة التي تفصل مدينتي معسكر والجزائر فإنه قرر الانتقال إلى المدية ليسهل الإتصال بين المتفاوضين من جهة ولكي يثبت حقوقه في السيادة على ولاية التيطري عمليا.[3]

وبذلك يكون الأمير عبد القادر قد دخل في مفاوضات متوازية مع بيجو في وهران والوالي العام في الجزائر في نفس الوقت، مما أدى إلى جدل بينهما حول اختصاصات كل منهما وتدخلت الحكومة الفرنسية وسمحت لبيجو

[1] محمد رزيق، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة التافنة 1837- تحليل وثيقة دبلوماسية-، رسالة الماجستير، جامعة الجزائر، 2005- 2006، ص 335.

[2] محمد رزيق، المرجع نفسه، ص 336.

[3] محمد رزيق، المرجع نفسه، ص 338.

بمواصلة المفاوضات مع الأمير، وافق بيجو على توقيع المعاهدة المعروفة بمعاهدة التافنة بين فرنسا ممثلة في الجنرال بيجو والأمير عبد القادر في عدم اتضاح الرؤية الفرنسية بخصوص الجزائر بعد احتلال أهم مدنها الساحلية (الجزائر، وهران، مستغانم، عنابة، بجاية...)، أما الظروف والأسباب الخارجية فقد أدركت فرنسا الشلل السياسي والعسكري الذي كانت تجد نفسها فيه، وذلك من خلال أن معاهدة ديميشال فيفري 1834 تخدم مصالح الأمير عبد القادر أكثر مما تخدم مصالحها.[1]

الصعوبات المادية والعسكرية التي عرفتها خلال الفترة الممتدة من (1834– 1837):

- توسع الأمير على ولاية تيطري عام 1835.
- تجديد القتال مع قوات الأمير عبد القادر 1835-1837.

كل ذلك أرغم فرنسا على طلب السلم لإنقاذ معسكراتها المحصورة وبالتالي دخول الطرفين الفرنسي والجزائري في مفاوضات انتهت بتوقيع معاهدة التافنة في ماي 1837.[2]

وقعت معاهدة التافنة من طرف الأمير عبد القادر والجنرال الفرنسي بيجو في 30 ماي 1837 بعد عدة مفاوضات بينهما حيث كتب الجنرال بيجو إلى الأمير عبد القادر رسالة يطلب فيها الصلح وتحدث عن الأمور التي تتعلق بشأن الهدنة، ولما اطلع الأمير على المكتوب رد عليه "إنني أشد الناس رغبة في الصلح وأشدهم بغضا لسفك الدماء" فكتب كل منهما شروطه وتوصلا في الأخير إلى اتفاق.[3]

نص معاهدة التافنة 1837:

إن الوثيقة العربية المتداولة لنص معاهدة التافنة هي تلك التي عثر عليها المؤرخ الفرنسي مارسييل ايمريت في ملف الأرشيف الوطني الفرنسي، تحت رقم 1671- F80 والتي نشرها في المجلة الإفريقية نصها: "اليتنان جنرال بيجو حاكم جيوش الفرنسيين في وطن بلاد وهران والأمير عبد القادر اتفقوا بينهم على الشروط الآتية:[4]

- **الشرط 01**: الأمير عبد القادر يعرف حكم سلطنة فرانسا في إفريقيا.

[1] محمد رزيق، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص 344.

[2] محمد رزيق، المرجع نفسه، ص 344.

[3] محمد سبتي، مقاومة الأمير عبد القادر من خلال رسائل المرشال سانت أرنو (1837-1844)، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد04، العدد 01، 2022، ص 198.

[4] محمد رزيق، تاريخ الأمير عبد القادر، قراءة جديدة في معاهدة التافنة 1837، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، المجلد05، العدد02، 2014، ص ص 147-148.

- **الشرط 02**: فرنسا تحفظ لنفسها في وطن بلاد وهران، مستغانم ومزغران سائر أراضيها ووهران وأرزيو وأيضا الحدود الذي نذكرها بعده شرقا المقطع من عند المرجة من أين يخرج الواد وقبلة من المرجة المذكورة عمل خط مساوي قبلة السبخة على نيشان سيدي سعيد لحد واد المالح، وهبط مع الواد المذكور لحد البحر بنوع أن هذه المذكورة أعلاه جميعها تكون في يد الفرنسيس، وفي وطن بلاد الجزائر والساحل والوطن متاع متيجة من جيهة الشرق لحد واد خضرة إلى قدام وقبله لحد رأس أول جبل حتى واد شفه وداخل في ذلك البليدة وساير نواحيها وغربا من شفة لحد عكس واد مزفران، ومن هناك خط مساوي لحد البحر ومتضمن في هذا لحد القليعة وكامل نواحيها بنوع أن هذه الحدود المذكورة تكون في يد الفرنسيس.
- **الشرط 03**: الأمير يحكم في وطن بلاد وهران والمدية ونصيب من عمالة الجزائر الذي ما دخلت في حدودنا وغربا للحدود المذكورة في الشرط الثاني وما يقدر أن يحكم غير في الحدود المذكورة أعلاه.
- **شرط 04**: الأمير ما يقدر يحكم على المسلمين الذين يحبون أن يسكنوا في الحدود الذين بيد الفرنسيس وهم مخيرين أن يعيشوا في بلاد حكم الأمير، كما أن السكان في بلاد الأمير يقدروا من غير مانع يمنعهم أن يأتوا ويسكنوا في بلاد حدود الفرنسيس.[1]
- **شرط 05**: العرب السكان في بلاد الفرنسيس يتبعوا دينهم بكل حرية ويقدروا يبنوا جوامع ويسلكوا بموجب شريعة دينهم على يد قاضيهم كبير الإسلام.[2]
- **شرط 06**: الأمير يعطي لجيش الفرنسيس ثلاثين ألف ربعي وهراني قمح وثلاثين ألف ربعي وهراني شعير وخمسة آلاف فرد، وهذا الدفع متاع الحب والفرد يكون لوهران كل ثلث واحده فأول ثلث يكون بعد ثلاثة أشهر من التاريخ بمدة خمسة عشر يوم والثلثين الآخرين شهرين بعد شهرين أعني في كل شهرين ثلث.
- **شرط 07**: الأمير يشتري من فرنسا البارود والكبريت والسلاح الذي يستحق.
- **شرط 08**: القرغلان الذين يحبون أن يقعدوا في تلمسان أو في موضع آخر تصرفوا بكل حرية بأملاكهم ويعاملهم مثلما يعامل الحضر والذين يحبون يجوا لبلاد الفرنصيص يقدروا من غير معارض لهم أن يبيعوا أو يكروا أملاكهم.
- **الشرط 09**: تتخلى فرنسا للأمير عن رشقون وتلمسان وقلعتها، وكل المدافع التي كانت فيها قديما، وتعهد الأمير بنقل كل الأمتعة إلى وهران، بالإضافة إلى العتاد الحربي، التابع للحامية (الفرنسية) في تلمسان.[3]

[1] محمد رزيق، تاريخ الأمير عبد القادر...، المرجع السابق ، ص ص 147-148.

[2] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 115.

[3] هنري تشرشل، المصدر نفسه، ص 119.

- **الشرط 10**: التجارة بين العرب والفرنسيين ستكون حرة، ويمكن لكل طرف أن يقيم مبادلة في منطقة الآخر .
- **الشرط 11**: سيكون الفرنسيون محل احرام بين العرب، وكذلك العرب بين والأسلحة والاملاك التي اقتناها الفرنسيون، أو التي يمكن الفرنسيين ان يقتنوها، في المنطقة العربية ستكون مضمونة لهم ، وسيتصرفون في مفتنياتهم بحرية، ويتعهد الامبر بتعويضهم عن أي خسارة قد يسببها لهم العرب
- ال**شرط 12**: يعاد المجرمون في كلا المنطقتين مبادلة.
- **الشرط 13**: الأمير يلزم نفسه أن لا يسلم شيء من مراسي البلاد في جنس من الجنوس إلا بإذن فرنسا.
- **الشرط 14**: لا تجوز المعاملات التجارية للولاية إلا فى الموانئ الفرنسية
- **الشرط 15**:فرنسا تقدر تصنع عند الأمير وكيلا ، وفى المدن التي تحت سلطته ، لكي يعملوا كوسطاء لصالح الرعايا الفرنسيين ، في كل الخصومات التجارية التي قد ننجم بينهم وبين العرب . ويتمتع الامير بنفس الامتياز في المدن والموانىء الفرنسية.[1]

المعاهدة من الناحية الشكلية:

جاءت مكتوبة على صفحتين كاملتين بلا ختم ولا توقيع من الأطراف الواردة في مستهل النص، كتبت معاهدة التافنة باللغتين العربية والفرنسية على صفحة واحدة، القسم الأيمن خصص لنص العربي والقسم الأيسر خصص للنص الفرنسي، وقد كتب الأمير إسمه بخطه على الشطر العربي وختم عليه بخاتم الإمارة، وكتب الجنرال بيجو اسمه بخطه على الشطر الفرنسي وختمه بخاتمه الرسمي.[2]

كان بيجو قد اتصل بتعليمات مشددة من حكومته أن يحصر عبدالقادر في إقليم وهران وأن لايتخلى له أبدا عن إقليم التيطري وأن يصر عليه بدفع الجزية.

وفي رسالة إلى وزير الحربية اعتذر بيجو له عن توقيعه على معاهدة تخرق تلك التعليمات هكذا لكم أن تفترضوا أني سأدفع الثمن غالبا على اتخاد قرار يتخالف مع تعليماتكم المتعلقة بالحدود التي يجب تحديدها للأمير ولكن ذلك كان غير ممكن فلا تكونوا مطمئنين في أن السلام الذي وقعته هو الأفضل، ومن المحتمل أن يكون أطول من أي سلام يمكنني تحقيقه عن طريق حصر عبدالقادر بين الشلف والمغرب الأقصى .

غير أن الفرنسيون كانوا بهذه المعاهدة محصورين في بضع مدن ساحلية بينما بقيت كل القلاع والمراكز الهامة في داخل البلاد في أيدي خصمهم المنتصر وبكلمة واحدة فإن الأمير عبد القادر أصبح يملك بتلك المعاهدة ثلثي

[1] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 119.

[2] محمدر رزيق، تاريخ الأمير عبد القادر...، المرجع السابق، ص150.

الجزائر في 31 ماي 1837 وصل الجنرال بيجو إلى الموعد المتفق عليه متبوعا بستة فرق عسكرية، لكن الأمير مزال لم يصل بعد الظهر حوالي الثانية بعد الظهر تقدم الجنرال بيجو في سرعة كاملة، وعندما وصل إلى الأمير صافحه ثم جلس على العشب ودخل في المحادثة ورغبة من بيجو في عدم إطالة المقابلة نظرا لتأخر الوقت وقف للإنصراف، أما الأمير عبد القادر بقي جالسا وهكذا انتهى الاجتماع الغريب الذي أرضى به الجنرال بيجو فضوله، أما الأمير عبد القادر فقد أعطاه ذلك الاجتماع الذي يتميز بالتأخير المقصود امتيازا هائلا بحيث ظهر في نظر مواطنيه كشخصية عظيمة.

إن الحكومة الفرنسية قد رحبت بحرارة بمعاهدة التافنة التي اعتبرتها ضربة معلم في ميدان السياسة، أما الشعب الفرنسي فقد اعتبرها إهانة فالحكومة كانت تفخر بأن الأمير قد تحول نتيجة المعاهدة من عدو إلى حليف بينما رأى الشعب أنها تسليم إجرامي لإقليم فرنسي إلى السلطة المنافسة، أما بالنسبة للأمير عبد القادر فقد كانت هذه المعاهدة حجر الزاوية في الصرح الذي كان منذ أمد طويل يشيده بمشقة ومثابرة.

ومنذ سنوات فرض على الأمير عبد القادر واجب مزدوج من جهة كان عليه أن يوحد الجهود المبعثرة حوله فيهدأ الثورات ويجمع الخلافات ويقضي على التمردات، ومن جهة أخرى كان عليه أن يواجه بشجاعة الهجومات الكبيرة من عدو يمتاز عليه بالوسائل والمعدات التي تصعد بالحرب إلى درجة العلم، ولما تخلص من الضغط الخارجي كرس كل جهوده للقضاء على المصاعب الداخلية.[1]

نقض المعاهدة:

وبينما كان الأمير يعمل على البناء والتشييد، إذا بالفرنسيين يعمدونا مرة أخرى إلى نقض المعاهدة بما لديهم من الأباطيل والأكاذيب وطرق المغالطات اللفظية والتأويلات السفسطائية المقصودة، ولكن الأمير الذي لم تنطل عليه هذه الترهات، والأباطيل الفرنسية المكشوفة قطع هذا النقاش، وأعلم الفرنسيين في 16 أكتوبر 1839 بإنهاء معاهدة الصلح والرجوع إلى حالة الحرب الأولى دفاعا عن الوطن وحفظا لكرامة الشعب وصونا لحقوقه وشرفه.[2]

[1] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص ص 123-125.

[2] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، تونس، الدار العربية للكتاب، 1983، ص 62.

المبحث الثالث: تحطيم بيجو لحصون الأمير عبد القادر

لقد قامت القوات الفرنسية باتخاذ الوسائل والإمكانيات اللازمة من أجل القضاء على المدن التي تدار بها الصناعة والحصون التي أنشئت من أجل مراقبة التوسع الفرنسي والحد من تقدمه، وعلى رأس هذه القوات الفرنسية نذكر الجنرال بيجو الذي كان هدفه مطاردة الأمير عبد القادر وتدمير واحتلال المدن والقواعد والحصون التي أسسها لإقامة المخازن ومصانع الأسلحة، وفيما يلي سنتطرق إلى أهم النماذج التي تم تحطيمها إثر ملاحقة الجنرال بيجو للأمير عبد القادر.

1- تحطيم قلعة تاقدمت:

إن من بين أهم الحصون التي بناها الأمير عبد القادر على مشارف الصحراء كانت تاقدمت،[1] هذا ما دفعه إلى اتخاذها عاصمة ثانية لدولته بعد سقوط معسكر وقاعدة يلجأ إليها عند الحاجة أو الخطر، وفي هذا الإطار يبين الأمير أهميتها الإستراتيجية والحربية للجنرال دوماس فيقول: "كانت تاقدمت ستصبح مدينة كبيرة ومركزا تجاريا يربط بين التل والصحراء، وهذا ما أعجب به العرب، فتوافدوا إليها للاستقرار بها بإرادتهم لأنهم سيجنون فوائدا وأرباحا كثيرة من ذلك، وإضافة إلى ذلك كانت شوكة وضعتها في أعين القبائل الصحراوية مستقلة فلم يصبح بإمكانهم الفرار مني أو أن يسببوا لي الإزعاج، خاصة لما تحكمت في لقمة عيشهم فهم مضطرون إلى المجيء عندي لحصول على المؤونة لأن الصحراء لا تنتج الحبوب، لقد بنيت تاقدمت من فوق رؤوسهم ولما تفطنوا سارعوا إلى اخضاع الإعلان خضوعهم وطاعتهم".

1-1- أهداف بناء تاقدمت:

موقعها الاستراتيجي: فهي تقع على هضبة في أرض صعبة لمسالك، قرب جبال الأطلس الصحراوي مما يمكنها من صد أي هجوم فرنسي ضدها.

اتخاذها مركزا تجاريا للتبادل بين قبائل الصحراء ومدن التل كموقع يراقب من خلاله تحركات القبائل الصحراوية يبقيها تحت سيطرته، ويضم أراضيها إلى دولته.

أما فيما يخص تاقدمت فإن عملية بناءها انطلقت بعدما تمكن الجنرال كلوزيل من دخول معسكر وتهديمها[2]، وهو ما أجبر الأمير على نقل عاصمته إلى مكان بعيد لا يمكن للفرنسين من الاستلاء عليه بسهولة وكان أول ما بني

[1] تاقدمت: تقع قرب تيارت الحالية على هضبة وسط أرض وعرة تشرف على الصحراء ولها ارتباط بالتل، ومثلت للأمير مشروع مدينة كبيرة كما أعجبت العرب بهذا المركز الجديد لأنه يمنحهم مزايا كبيرة، (ينظر): كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص715.

[2] وذان بوغفالة، الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان، الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، دس، ص197.

بها ثلاثة حصون عسكرية على أنقاض مدينة رومانية، ثم أعقب ذلك بناء المرافق الأخرى كالمباني الحكومية والمساجد والمنازل.[1]

يصف أحد الفرنسيين تاقدمت فيقول موقع رائع ومدينة جديدة مبنية على عجل، فيها أكثر من ستمائة منزل ودار كبيرة مربعة الشكل يتخذها الأمير كحصن له وفيها مخازن وسجن، ودار لضرب السكة وورش من كل نوع، إنها عبارة عن مصنع كبير أقيم فوق واد جار تلك هي تاقدمت، ويرجع بعضهم اختيار الأمير بتاقدمت حتى تصبح عاصمته بعد معسكر إلى جانب موقعها الاستراتيجي،[2] فإنه سيَّر رعيته على تسعة أقسام وجعل على كل قسم خليفة عليه لتدبير الأمور والأحكام، ونقل كرسي مملكته بمدينة تاقدمت وجعلها قاعدة ملكه لكونها بلد أسلافه بالاحتكام.[3]

أما فيما يخص النشاط الاقتصادي فقد وصفت تاقدمت في 1839م بأنها كانت مستودعا كبيرا للآلات المصدرة من باريس يوجد بها دار لضرب النقود وأكبر مستودع لدقيق الحديد والرصاص والنحاس والفضة.

يستنتج من هذا الوصف أن تاقدمت عرفت حركة اقتصادية واسعة، فإلى جانب مصنع الأسلحة عمل الأمير على إنشاء مصنع الورق، غير أن المشاكل المتعددة وقلة رؤوس الأموال وقفت عائقا أمام مشروعه، أهم معمل أقامه الأمير بتاقدمت كان ذلك المتخصص لإنتاج الأسلحة والغرض من إقامته توفير العتاد الحربي حتى يواصل الجهاد، وقد استغل الأمير فترة السلم مع فرنسا التي وفرتها له معاهدة التافنة.

جلبت المدينة أنظار المستعمر إليها بعدما تخوف من أن تصبح مركز قوة في مقاومة الأمير فقرر تحطيمها وإنهاء دورها، وهذا المسعى ارتبط بشخصية الجنرال بيجو،[4]ووصف العقيد سكوت تاقدمت بقوله:[5] "ومنازل تاقدمت مبنية بالحجر والصلد والجير...، والشارع الرئيسي الذي لا يزال العمل يجرى في تعبيده، قد خطط عن النمط الأوروبي وهذ الشارع فريد، ولم ترَ عيني مثيلا له في إفريقيا، إنه يبلغ ثلاثين قدما في العرض، لكن الجيش الفرنسي لم يرد أن يتم هذا الجمال فوق أرض الجزائر".[6]

---

[1] وذان بوغفالة، المرجع السابق، ص197.

[2] وذان بوغفالة، المرجع نفسه، ص198.

[3] بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ص169.

[4] وذان بوغفالة، المرجع السابق، ص ص 200-203.

[5] محمد عيساوي، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830-1871م)، الجزائر، دار شطيبي للنشر والتوزيع، دس، ص161.

[6] محمد عيساوي، المرجع السابق، ص161.

ونظرا لأهمية المدينة تخوف الفرنسيون من تحوله إلى مركز قوي يوقف زحفهم ويقوي المقاومة، لذلك انطلقت حملة عسكرية ضخمة يوم 18 ماي 1841م تحت قيادة الجنرال بيجو،[1] بعد إقامته أيام في مستغانم، غادرها نحو قلعة تاقدمت عن طريق مجاهر، فأمر الأمير عبد القادر أهلها بالجلاء عنها حاملين ما خفَّ من الذخيرة الحربية والمؤن وكانت وحدات فرسان الأمير تناوشه على طول الطريق ودخلها بيجو في 25 ماي 1841م فوجدها خالية،[2] ووصف سكوت ذلك بقوله: ".. وأخيرا تمكنا من الخروج من تاقدمت بأحملنا وأثقالنا...، أما المنظر الدي كنا نشاهده من بعيد فقد ذكرني بحملة إحراق القرى...، في الحرب الأهلية الإسبانية وذلك أن السكان قاموا بحرقها عند الانسحاب منها"،[3]وبعد الظهر تمت عمليات التدمير باحتراق القلعة ومصنع الأسلحة وبذلك تحولت تاقدمت إلى كتل هائلة من الدخان والرماد التي تركها السكان وراءهم.[4]

كان هدف العدو هو السيطرة على تاقدمت عاصمة الأمير الجديدة وعلى معسكر رغم بطولة وتفاني الجيش الجزائري فإنه لم يستطع منع الفرنسيين من احتلال تاقدمت،[5] وذكر أحد المشاركين في الحملة بأن بيجو عقد العزم في عين المكان على تخريب تاقدمت راسا على عقب، فقال: "باشر الجنود عملية التدمير بنشاط وفرح يصعب وصفهما، ولم يبقى غداة ذلك اليوم من المدينة الزاهرة الا المسجد، وقدر سكوت الخسائر التي تحملها الامير بتدمير تاقدمت بحوالي عشرين الف دولار، كما وجه نداء لويس فيليب جاء فيه: "لو اراد الملك مكافأة جيشه الباسل على الحملة التي شنها على تاقدمت فاني أنصحه أن يصدر لهذه الغاية ميدالية تنقش على أحد وجهيها عبارة تاقدمت 25 ماي وعلى الوجه الاخر صورة كلب معلق على باب القلعة"، ذلك أن جرائم الفرنسيين هذه المرة امتدت لتشمل الكلاب[6]

ثم توجه بيجو إلى معسكر التي أخلاها سكانها أيضا ثم عاد إلى مستغانم، أرسل الأمير إلى بيجو رسالة قال فيها: "أني اراك أيها الحاكم تبذل جهدك في تعطيل مواسمنا لتقل الحبوب عندنا، ظنا منكم أن ذلك أقوى سبب لخضوع البلاد، والحال أن هذا ليس بشيء عندهم، فإن همهم ليست متعلقة بلذائذ الأطعمة والأشربة مثلكم فليكفيهم مايسدون به رمقهم ويقيم أودهم على أنهم يوجد عندهم من صنوف الحبوب المحفوظة في الأبار المعدة لها

[1] كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص71.

[2] علي محمد الصلابي، الأمير عبد القادر، ص250.

[3] محمد عيساوي، المرجع السابق، ص161.

[4] الكولونيل اسكوت، مذكرات الكولونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1841، ص97.

[5] محفوظ قداش، الأمير عبد القادر، 2002، ص80.

[6] محمد عيساوي، المرجع السابق، ص163.

مايكفيهم سبع سنين آتية، وما تأخذونه أنتم فهو جزء من جملة أجزاء، ولا أراكم في هذا إلا كمن ملأ قدحه من البحر، وبالجملة فنحن لانترك قتالكم مادمتم في طغيانكم، والحروب قد تربيت عليها، فنحن أهلها من المهد الى اللحد.[1]

2- تحطيم قلعة تازة

تقع تازة على بعد 85 كلم شرق مقر ولاية تيسمسيلت، وعلى بعد حوالي 200 كلم جنوب غرب مدينة الجزائر العاصمة ويقطعها الطريق الوطني رقم 60 الرابط بين بلدية قصر البخاري وثنية الحد، بنيت القلعة سنة 1838م ويشهد على ذلك اللوحة المثبتة فوق باب القلعة، وقد بنيت القلعة في منطقة جبلية تكثر بها الغابات وهي تعد ثاني القلاع التي أنشأها الأمير عبدالقادر،[2] اتخذ الأمير منها مخزنا لأسلحته ومؤونته وسجنا لأسراه الفرنسيين الذين بلغ عددهم 185 سجينا في18 جوان 1839م، وأنشأ الأمير مجموعة من المصانع تتمثل في مصنع البنادق والبارود والدباغة والمنسوجات، أما المطحنة فكانت تقع في الجهة الغربية من القلعة استخدمت في طحن الحبوب وكان الماء يأتيها من عين في أعلى الجبل لازالت مياهها جارية، كما توجد مطحنة أخرى تبعد بحوالي عشر دقائق عن القلعة استخدمت لطحن الجير.

أما المباني فكانت تضم ثمانين مسكنا منها خمسون بنيت بالحجارة وغطيت سقوفها بالقصب، أما الباقي عبارة عن أكواخ خشبية بناها الأمير لمهاجري الجزائر العاصمة والبليدة، وكان يفصل بين تلك المساكن طرق وشوارع واسعة،[3] أرسل الجنرال بيجو حملة بقيادة الجنرال براغواي دييلي[4]BARAGEUAY D'HILLIERS ولقد كانت إنطلاقة هذه الحملة من البليدة يوم 18 ماي 1841م، ووصلت تازة في 25 ماي 1841م، وقد وجدتها خاوية على عروشها، فقضوا على ما بقي بها من منشآت عسكرية ومدنية.[5]

---

[1] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص250.

[2] عز الدين بويحياوي، حصن تازا أو برج الأمير عبد القادر معطيات أثرية وتاريخية جديدة، مجلة أفكار وأفاق، المجلد03، العدد04 2013، ص239.

[3] عبد القادر دحدوح، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية 1252-1258هـ / 1836-1842م، الجزائر، د.ط، 2008، ص ص 108-109.

[4] براغواي ديلي، ماريشال فرنسا من مواليد باريس 1795م – 1878م اشترك في حرب الجزائر، وبرز إسمه في حرب القرم 1854م حيث انتزع من الروس بومارساند Bomarsend، وانتصر على النمساويين سنة 1859م. (ينظر) بسام العسلي، الماريشال بيجو ص 72.

[5] لخضر بكاي، تازا حصن الأمير عبد القادر، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المجلد02، العدد04، 2017، ص160.

3- تحطيم قلعة سعيدة

تقع قلعة سعيدة في الغرب الجزائري، يحدها من الشمال معسكر 74 كلم، ومن الجنوب البيض 198 كلم ومن شرق تيارت 174كلم ومن الغرب سيدي بلعباس 97 كلم، كما تبعد عن الجزائر العاصمة 434 كلم وهي مبنية على محاضر من جبال سعيدة تبلغ أعلى قمه بها على مستوى سطح البحر بحوالي 1288 متر، تمتاز منطقة سعيدة بأرض خصبة صالحة للزراعة وتتوفر على المصادر مائية متعددة من أودية وعيون.

بنيت القلعة سنة 1839م، وهي ثالث القلاع التي باشر الأمير عبد القادر بناءها ركز فيها حامية وجعلها تابعة للخليفة مصطفى بن التهامي وبنى فيها مجموعة من المنشآت، أحاطها بسور ضخم وتتمثل تلك المنشآت في قصر ومخازن وطاحونة مائية وفندق وأكواخ، لجأ إليها الأمير عبد القادر بعد سقوط قلاعه، ولما علم بيجو بلجوء الأمير إليها أعطى أمرا للعميد لاموريسيار،[1] في 19سبتمبر 1841 يقضى بملاحقة الأمير والسيطرة على المنطقة حيث بدأ لاموريسيار حملته أواخر شهر سبتمبر 1841، واعترضه بن التهامي لكنه واصل سيره إلى القلعة[2] فوصلها يوم 19 اكتوبر 1841م، وكان الأمير عبد القادر قد أمر بالخروج منها لما علم باقتراب العدو منها، وأحرقها وخربها قبل الإنسحاب منها حتى لا يستقر العدو بها.[3]

رغم سقوط القلعة بيد الاستعمار إلا أن الأمير لم ييأس من استرجاعها وعمل على استردادها ونقل زمالته وتمركز بالقرب منها، لكن لاموريسيار علم بموقعها واستغل غياب الأمير عن زمالته وقام بمهاجمتها في اوت 1843م واستولى على خيمة الأمير، ولما علم الأمير بالواقعة عاد إلى زمالته وأمر بنقلها إلى المغرب الاقصى.[4]

4- تحطيم قلعة سبدو:

تقع سبدو جنوب تلمسان حيث تبعد عنها 37 كلم يحدها من الشمال بلدية ترني ومن الجنوب بلدية العريشة ومن الشرق بلدية غور، ومن الغرب بلدية العزابة، وهي مبنية على منخفض يرتفع على مستوى سطح البحر

[1] لاموريسيار: جنرال فرنسي ورجل دولة من مواليد نانت 1806 - 1865م برز اسمه أثناء حرب الجزائر وقد اعتقل وصدر الأمر بإبعاده ونفيه عندما قام نابليون الثالث بانقلابه المعروف باسم إنقلاب 2 ديسمبر، ثم أصبح قائدا للقوات الفرنسية في الإمارة الباباوية ينظر: بسام العسلي المارشال بيجو، ص 72.

[2] عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص ص 113- 114.

[3] حرشوش كريمة، المرجع السابق، ص 229.

[4] عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 116.

بـ 981م، يتوسط سلسلتين جبليتين شبه متوازيتين سلسلة في الشمال والشمال الغربي، أعلى قمة بها تقدر بـ 1117م، في جبل الدبدوب وسلسلة متوسطة الارتفاع في الجنوب.[1]

بنيت القلعة في جوان 1839 بأمر من الأمير عبد القادر من طرف خليفته في تلمسان البوحميدي، انتقل إليها سكان تلمسان بأمتعتهم ومحاصدهم ونقلت إليها جميع الدكاكين والمخازن، فيها مطحنة من ثلاث غرف الغرفة الأولى مخصصة للمطحنة، الغرفة الثانية كانت تستخدم كمخبزة أما الثالثة كانت تستخدم كمخزن، وبها مصنع لصهر المدافع، وهي محمية بتسعة مدافع اتخذ البوحميدي من هذه القلعة مستودعا للأسلحة والمؤونة وجعلها قاعدة خلفية حصينة يلجأ إليها في وقت الشدة.[2]

إلا أن الجنرال بيجو تمكن من إحتلال تلمسان في الفاتح من فيفري 1842م، ودمر سبدو في التاسع منه وقد إرتكب في غضون ذلك مجازر وفظائع ضد السكان تشيب لها النواصي ويندى لها الجبين، وخرب وأحرق عددا كبيرا من القرى والمداشر،[3] ورغم سقوط قلعة سبدو إلا أن الأمير عبد القادر بقي مرابطا بجبال التزارة بالقرب من سبدو محاولا استرداد سيطرته على المنطقة إلى أن خرج إليه الجنرال بيجو بتاريخ 6 مارس 1842م على رأس قوته فلما علم الامير بخبر هذه الحملة إجتاز الحدود الجزائرية متجها إلى المغرب الأقصى، وقد أدرك الإستعمار الفرنسي أهمية السيطرة على هذه الحدود ، فشيد ثكنة على أنقاض هذه القلعة في سنة 1844 م.[4]

5- معركة إيسلي 14 أوت 1844م:

لم يرتح الفرنسيون لوجود الأمير عبد القادر في البلاد المغربية، وأحس بيجو بخطر إلتفاف المغاربة حول حركة الجهاد وتعاطفهم مع الأمير، فاتخذ بيجو بموافقة وزير الخارجية احتياطات على الحدود الجزائرية المغربية، كما أنشأ ثلاث مراكز عسكرية جديدة كقواعد لاستعمالها عند الضرورة القصوى للإنطلاق نحو محاربة الأمير والسلطان عبد الرحمان في الأراضي المغربية معا، اثنين جنوب غربي تلمسان في سبدو وسعيدة وواحد غرب تلمسان على بعد 25 كلم شرقي وجدة أي في لالة مغنية،[5] أين قام الفرنسيون بحفر خنادقهم وعلقوا معداتهم وغنوا أغانيهم وأهرقوا

[1] عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 125.
[2] عبد القادر دحدوح، المرجع نفسه، ص ص 126- 128.
[3] بشير بلاح، المرجع السابق، ص 90.
[4] عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 127.
[5] بسام العسلي، الأمير عبد القادر...، المرجع السابق، ص146.

خمورهم، وعربدوا عربدتهم فكان في ذلك تدنيس حرمة المكان المحترم وانتهاك مثير ووحشي لحرمة المسلمين وانطلقت صرخة الغضب فترددت لها أصداء قوية في كل المغرب الإسلامي مما دفع السلطان عبد الرحمان بتوجيه جيش بقيادة القائد القناوي الذي كان شريفا متعصبا، وطلب القناوي من الفرنسيين الجلاء من لالة مغنية في 22 ماي 1844م غير أن الفرنسيين سخروا من طلبه وفي 30 ماي تقدم الجيش المغربي واشتبك مع الفرنسيين في معركة قصيرة وحاسمة أرغمتهم على الانسحاب.[1]

لكن بيجو عاد في 11 جوان في محاولة للتفاهم مع القناوي غير أن هذه المحاولة فشلت وبعدئذ وجه بيجو إنذارا خطيا إلى القناوي جاء فيه: "نرغب أن تكون لنا نفس الحدود التي كانت للأتراك ثم للأمير عبد القادر، إننا لا نريد منكم شيئا ولكن يجب أن نصِّر على عدم إيواء الأمير عبد القادر بعد اليوم وأن لا تمنحوه المساعدة أو التأييد وأن لا تدعموه بعد أن أوشك على الهلاك ثم ضدنا من جديد، إن عملا كهذا ليس من الصداقة في شيء إننا نخوض حربا وإنكم كنتم تقومون بالحركة ضدنا على هذا المنوال منذ سنتين، إننا نطلب منكم أن تحصروا دائرة الأمير عبد القادر وكبار مساعديه في غرب الدولة، وأن تفرقوا جيشه النظامي المشاة منه والفرسان، ونطلب منكم أيضا أن ترفضوا منذ الآن السماح بهجرة قبائلنا إلى مناطقكم وأن تعيدوا إلينا حالا أولئك الذين لجأوا إليكم وأننا نلزم أنفسنا بالمعاملة بالمثلى اتجاهكم فيما إذا حدث مثل ذلك بالنسبة إلينا وهذا ما يمكن تسميته حقا التطبيق العملي لمبدأ الصداقة الحقيقية بين أمتين، وبهذه الشروط سنكون أصدقاؤكم، وسنشجع تجارتكم وسنكون إلى جانب حكومة مولاي عيد الرحمان بقدر ما نستطيع، أما إذا تصرفتم غير ذلك فسنكون أعداءكم".[2]

دارت بين الجيوش المغربية والفرنسية معركة إيسلي واستعد لها السلطان بحشد جنوده فشكل حوالي 30 ألف فارس دعم بها إبنه محمد واجه بها الفرنسيين في إيسلي بمحافظة وجدة التي تبعد بثمانية كلم جنوب غرب وجدة[3] وقد حاول حاكم طنجة تجنب الحرب والمواجهة لكنه لم يفلح وقصفت مدينة طنجة، وكان رد فعل المغاربة ضعيفا وعاجزا كما قصفت بعض المناطق منها الصويرة ومغادور هذا على الجبهة البحرية أما عن الجبهة البرية فتمكن المغاربة في بداياتها من إحراز بعض الإنتصارات بعد أن عبرت القوات الفرنسية نهر إيسلي وقد بدأت المعركة صبيحة 14 أوت 1844م، لكن لجوء الفرنسيين إلى استخدام سلاح المدفعية ألحق ضررا كبيرا بالجيش المغربي كما تمكنوا من ضرب خيمة الخليفة وإلحاق الذعر في صفوف المغاربة بعد ما شاع نبأ مقتل ولي العهد، وقد ساهمت هذه الإشاعة في انتشار

[1] طعبة حورية، المرجع السابق، ص11.

[2] بسام العسلي، الأمير عبد القادر...، المرجع السابق، ص147.

[3] طعبة حورية، المرجع السابق، ص10.

الفوضى في صفوف المغاربة واستغلها البعض للهروب من الخدمة، وفقد بذلك الأمل في النصر، وكانت هذه الهزيمة مرعبة ضربت النظام الملكي المغربي في العمق،[1] وأمام هذه المؤامرات التي حاكها بيجو وأمام القدرة على إقناع الخصم وإضعافه ومكافأة على تلك الإنتصارات التي حققها، لقب "بدوق دي إيسلي- "Le Duc D'isly".[2]

[1] بلعربي نور الدين، معركة إيسلي وانعكاساتها على المغرب الأقصى ومقاومة الأمير، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد05 العدد12، 2017، ص ص 104-106.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص218.

الفصل الثاني

الجنرال بيجو حاكما عاما في الجزائر

تمهيد

- المبحث الأول: سياسة الاستيطان.
- المبحث الثاني: سياسة الأرض المحروقة والإبادة الجماعية
- المبحث الثالث: سياسة المكاتب العربية

تمهيد

كانت الإدارة الاستعمارية منذ بداية الاحتلال تركز على عملية الإخضاع والسيطرة على الأرض، حيث انتهجت ضد الجزائر سياسات تعددت أوجهها وشملت جميع الميادين العسكرية، الإدارية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية، واعتمدت عدة أساليب من أجل القضاء على الانتفاضات الشعبية، إذ كانت الغاية من ورائها القضاء على الجزائر أرضا وشعبا وبناء على ذلك تعتبر سياسة الاحتلال الشامل التي عرف بها الجنرال الفرنسي بيجو مثالا واضحا عن ما طبق على الجزائرين من أشكال القمع والترهيب، والتي بلغت مستويات خطيرة منذ تقلد الأخير منصب الحاكم العام في الجزائر، حيث سنتطرق في هذا الفصل إلى السياسة التي عبر عنها بيجو في مذكراته،كما جسدها على أرض الواقع والتي اعتبرت بداية لعهد استعماري جديد له تأثيرات عميقة على الجزائريين، بداية بسياسة الاستيطان ثم سياسة الأرض المحروقة والإبادة الجماعية وأخيرا سياسة المكاتب العربية.

المبحث الأول: سياسة الاستيطان

إن الفكر الفرنسي كان يرى أن الاحتفاظ بالجزائر لا يكون ممكنا إلا باحتلال أراضيها الزراعية وتثبيت المستوطنين بها، وما لم يتحقق هذا فإن وجود فرنسا في الجزائر يبقى مؤقتا، فعدم امتلاك الأراضي الزراعية والإستقرار بها يعتبر خطرا يهدد وجودها في الجزائر، وعلى هذا الأساس يبقى امتلاك الأراضي الزراعية هو الضمان الوحيد للاستيطان، فلا استيطان بدون إمتلاك للأرض، ففي هذا الصدد يقول الكاتب الفرنسي أوجين بوري Eugene Buret، "كل خطوة كنا نخطوها في حملتنا على الجزائر كنا نعثر فيها على شهادات تدلنا على الإزدهار الذي شهدته الزراعة في الجزائر قديما، فكل من وادي الشلف وسهل مينا ومجانة يبرهن من خلال خصوبته وبشكل قطعي أن الجزائر كانت ولمدة قرون مستودعا للحبوب".[1]

تعريف الاستيطان:

لغة: اتخاذ المكان وطنا، يقال: وطن بالمكان أو البلد يطن وأوطن أقام به، وأوطنه ووطنه واستوطنه اتخذه وطنا، أي محلا ومسكنا يقيم فيه.

اصطلاحا: هو الإقامة بنية التأبيد.[2]

وهو ظاهرة بشرية تاريخية مرتبطة بظروف سياسية واجتماعية ديمغرافية، ويعتبر الإستيطان من أقدم أشكال الإستعمار الذي يعتمد على توفير عدد من المستوطنين في المناطق الجديدة بنسب كبيرة، من خلال تهجيرهم من البلد الأم إلى البلد المستعمر بغية استغلال ثرواتها وإحداث تغيير ديموغرافي في بنية السكان الاجتماعية، فالاستيطان الفرنسي في الجزائر هو جزء من الاستيطان الأوروبي الذي عرفه العالم، وقد كانت سياسة الإستيطان عبارة عن كتلة اجتماعية واحدة متكاملة لغويا، ثقافيا ودينيا، وهو عصب الحياة الاقتصادية والسياسية والإدارية في الجزائر في ظل الاستعمار، فتعتبر سياسة الاستيطان في مجالها الاقتصادي الإنسان نفسه سوقا ينبغي أن يسلب بالعمل لصالح المستعمرة.[3]

---

[1] بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ج1، المؤلفات للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 40.

[2] محمد بن موسى بن مصطفى الدالي، الوطن والاستيطان دراسة فقهية، مج1، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 2013، ص 34.

[3] مختاري آمحمد، تداعيات التشريعات الفرنسية على الحياة الاجتماعية في الجزائر مرحلة الحكم العسكري- الاستيطان الفرنسي في تيارت أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية في شمال إفريقيا، المجلد05، العدد 02، 2022، ص 417.

عندما عين بيجو حاكما فرنسيا بالجزائر 1841م، اعتبرت الغاية من احتلال الجزائر هوي استيطانها وجعلها مقاطعة فرنسية، فاهتم بعملية الاستيطان اهتماما بالغا وعن دور الجيش في هذه العملية اعتمد بيجو إعطاء الجنود الذين أنهوا فترة خدمتهم العسكرية قطع أراضي وتزويدهم بالوسائل الضرورية لمعاشهم أي يكون الجنود فلاحين يستطيعون خدمة الأرض، والدفاع عنها في نفس الوقت، حيث لخص ذلك بقوله: "والجيش بوضعه البندقية والحقيبة، يجب عليه أن يأخذ المعول الرفش ويقوم بذلك بتفاني ووفاء".[1]

كما حث بيجو على جلب المعمرين بقوة كبيرة مع تقديم مساعدات وإغراءات مالية فقال: "ابحثوا عن المعمرين في كل مكان، خذوهم بأي وسيلة، خذوهم إلى المدن والأرياف، يجب أن يكون هناك مائة وخمسون ألف معمر خلال سنوات قليلة"، ولتشجيع هذه الحركة صرح بيجو في غرفة النواب 14 ماي 1840م قائلا: "في كل مكان توجد المياه الصالحة، والأراضي الخصبة، يجب أن يقيم الأوروبيون دون الاستفسار عن أصحابها".

وبذلك اشتدت الهجرة الأوروبية في الجزائر ففي 1843م، وصل إلى الموانئ الجزائرية 34137 مستوطنا، ونشطت عمليات المستوطنات والمراكز الاستيطانية،[2] أدت هذه الحركة الاستيطانية النشيطة إلى نفاذ الأراضي التي كانت تحت تصرف الدولة، فلجأت السلطات الاستعمارية إلى تطبيق شعار بيجو، إذا أقدمت على مصادرة ممتلكات الجزائريين على نطاق واسع، وتوزيعها على الوافدين الأوروبيين الذين عمروها وشيدوا عليها العديد من القرى والمستثمرات الفلاحية.[3]

شرع المحتلون في الاستيلاء على أراضي المقابر الواقعة داخل مدينة الجزائر وضواحيها التي كانت مساحتها تفوق ثلاثين هكتارا، فأصبحت محل المضاربة والصفقات التجارية، كما تعرضت القبور للتخريب إذ تم إزالة بعض المقابر مثل مقبرة الباشوات في باب الواد التي حولت إلى ساحة عمومية، ونصب بها المحتلون المقصلة التي استعملت لأول مرة في تنفيذ حكم الإعدام في شهر فبراير من 1844م، وبحجة إقامة بعض المشاريع مثل شق الطرقات وتوسيع النسيج العمراني للمدينة، وبعد الانتهاء من تدمير القبور ونبشها كان يتم ردمها وتسويتها لتستغل في إنجاز المنشآت المختلفة، وقد تعرضت بعض المنازل والمعالم الحضارية للهدم بحجة

[1] العيد فارس، المرجع السابق، ص 42.

[2] محمد عيساوي، المرجع السابق، ص 141.

[3] محمد عيساوي، المرجع نفسه، ص 145.

تجميل المدينة ومن المعالم العمرانية التي تم هدمها مقر المكتبة الذي كان يمثل تحفة عمرانية في الفن الأندلسي ونصب مكانها الجيش الفرنسي مدفعيته، كما تم الإعتداء على أماكن العبادة فحولوا المساجد إلى كنائس وإلى إسطبلات الحيوانات وإلى ثكنات عسكرية وإلى مخازن، وكذلك مؤسسات الوقف لاعتقادهم أنها تمثل مصدر التمويل للمقاومة الجزائرية، وقطاع التعليم والمدرسين والعلماء، وجعلوا المؤسسات الدينية كلها بما فيها المساجد والزوايا والأضرحة والمدارس وموظفيها تحت الإدارة الفرنسية.[1]

اعتبر بيجو أن أهم ما يعيق تنفيذ عملية الاستيطان هو وجود الأهالي ومالهم من حقوق متفاوتة على أراضي الجزائر، لذلك وجب ترحيل الأهالي إلى جهات أخرى مختارة ليمكن التصرف في أراضيهم بحرية تامة حيث قال في هذا الصدد: "أن الاستيطان نظام مخطط لتوطين عشرة آلاف فرد، أما الأهالي الأعداء، فينتقلون إلى الجنوب"، لم يرى بيجو مانعا في استخدام القوة والسلاح لتحقيق أهدافه، فقال: "إن المعمر الإفريقي لا يجب عليه مطلقا ترك بندقيته تصدأ، بل يجب عليه أن يتركها دائما مستعدة لإطلاق النار واستعمالها بمهارة".[2]

وكنتيجة لهذا الدعم الواسع لحركة الاستيطان بلغ عدد المعمرين عند نهاية عهد بيجو 110.000 معمر، منهم 4800 فرنسي و62000 من جنسيات مختلفة، وارتفعت نسبة زيادة عدد المستوطنين إلى 42.3% مقارنة بما كان عليه عددهم في 1839م، ولم يتوقف المشروع الاستيطاني عند هذا الحد، فلقد اعتبرت الجزائر أرضا للتجارب الاجتماعية، فيقول أحدهم وهو آنفنتان[3]: "إن التعمير سوف يكون له أثر حسن لتقدم البشرية جمعاء، خاصة بمعرفتنا أن التعمير سوف يفتح المجال لتطبيق التجارب الاجتماعية التي تحتاجها فرنسا...، إن إفريقيا الشمالية بهذا الاعتبار، هي أرض تجارب من أجل تصور جديد للإنتاج وللمجتمع وللدولة".

[1] أرزقي شويتيام، المرجع السابق، ص 194.

[2] محمد عيساوي، المرجع السابق، ص145.

[3] محمد عيساوي، المرجع نفسه، ص 146.

أهم قوانين وقرارات ترسيخ الاستيطان:

- **12 أفريل 1841**: هو أحد القرارات المشجعة للهجرة، نص على أن كل فرنسي يملك مبلغا ماليا قدره 15000 فرنك، يستطيع شراء قطعة أرض من الدولة تتراوح مساحتها بين 4 و12 هكتار بالإضافة إلى مسكن.[1]
- **20 مارس 1843**: نصت إحدى مواده على تكليف مصلحة الدومين بالاستيلاء على أملاك الأوقاف، أي أن الهدف الأساسي من إصدار هذا القانون هو دمج أراضي الأوقاف في أملاك الدولة.
- **01 أكتوبر 1844**: أجاز بيع أراضي الأوقاف ونقل ملكيتها إلى المستوطنين وقضى بشغور على الأراضي غير المستغلة التي لا يثبت الجزائريون ملكيتها بالوثائق في مدى 03 أشهر، ولا يعترف المستعمر بعقود الملكية المسجلة قبل 05 جويلية 1830م، لتضمها إلى أملاك الدولة ما أدى إلى فقدان الجزائريين 200 هكتار دفعة واحدة.
- **31 أكتوبر 1845**: نص بمصادرة أراضي القبائل الثائرة، حيث شكل هذا القانون قاعدة لسياسة الحجز طيلة ربع قرن واستمر تنفيذها إلى غاية 1871م.[2]
- **18 أفريل 1846**: ينص هذا القانون على مصادرة الأراضي المتروكة بورا بلا سبب، وكذا أراضي الأعراش التي رحل عنها أهلها إلى مناطق أخرى إلا إذا عادوا إليها في حدود شهر واحد من يوم فرارهم وطلبوا العفو من حاكم العمالة التي يقطنون بها.
- **21 جويلية 1846**: أكد ما جاء في قانون أول أكتوبر 1844م بحيازة وثائق ملكية على كل مالك أرض جزائري وإلا ضمت أرضه إلى أملاك الدولة وأوكلت أمر التحقق من الوثائق إلى مجلس المنازعات.[3]

[1] حياة قنون، الاستيطان الفرنسي ومصادرة أراضي الجزائريين خلال القرن 19، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد03، العدد 01، ص150.

[2] العيد فارس، المرجع السابق، ص 43.

[3] مختاري آمحمد، المرجع السابق، ص 420.

3- المراكز الاستيطانية الناشئة ما بين 1840- 1847:[1]

السنة	عمالة الجزائر	عمالة وهران	عمالة قسنطينة
1840	دالي ابراهيم – القبة	/	/
1841	مصطفى- بئر خادم- البيار-حسين داي- دويرة- المدية	ضاحية مستغانم ضاحية معسكر	سكيكدة
1842	ضاحية مليانة-البليدة- شرشال-دراية-أولاد فايت-القليعة- العشور- فدوس	تلمسان	القالة- جيجل
1843	بوزريعة-الشراقة- عين البنيان-الأصنام- بوغار- ثنية الحد-ساولة- برانت يسكاد	/	/
1844	بابا حسن- خرايسية- دواودة-فوكة- سان فرديناند- سانت أسيلي- سيدي فرج- ستوالي- دلس- زيرالدا	السانية	دار ميمونت- الحروش- سان أنتوان فالي
1845	الصومعة- أومال	أرزيو- مسرغين- سان دوني- دوسيق- سيدي شامي	دوزفيل- قالمة
1846	الشقة- موزاية فيل	مزغران- المرسى الكبير- سان أندري- سانت كلوتيلد- سان جيروم- سانت ليوني- ستيديا- نمور	عين صفية
1847	/	/	بيجو- كوندى- سطيف- سماندو- سان شارل

[1] بن داهة عدة، المرجع السابق، ص ص 58-59.

4- انعكاسات السياسة الاستيطانية على المجتمع الجزائري:

كان للسياسة الاستيطانية آثار وخيمة العواقب في ميادين مختلفة على الجزائريين، فقد تم تحطيم العائلات الجزائرية الكبرى التي كانت تمثل القيادات للمجتمع الجزائري روحيا وماديا، مما شكل هدما لبنيان المجتمع وموروثه الثقافي والحضاري ولا شك أن أسوء تخريب تعرضت له الجزائر تمثل في تخريب الفرد من خلال تلك القوانين الظالمة مثل قانون الغابات الذي حرم الجزائريين من الاستفادة منها، وألحق ضرارا بالقبائل القريبة منها إذ كانت المخالفات التي ترتكب في حق هذا القانون سببا في نفي عشائر بكاملها من مواطنها الأصلية إلى جهات أخرى ومصادرة أملاكها ومنحها للمستوطنين بدون وجه حق، تحطيم ما دعي بالبرجوازية الجزائرية في المدن الكبرى، وكانت تتألف من التجار والحرفيين والقضاة والمثقفين، فشردوا وزوحموا في أنشطتهم المختلفة من طرف الجالية الأوروبية التي كانت تتصف بالنزاهة في ميدان الاقتصاد، والغلظة والقسوة في ميدان السياسة والإدارة.[1]

- فقدت القبائل والعشائر أراضيها فتبعثرت العائلات في جهات مختلفة من البلاد وفقدت بالتالي هويتها وروابطها القديمة لأن الأرض شكلت الإطار المادي الأساسي لبقاء القبيلة موحدة قرونا من الزمن.[2]
- تحطيم الفلاحون الجزائريون بسبب انتزاع ملكياتهم الزراعية والفلاحية وأرغموا على بيع ما بقي منها بأيديهم نتيجة لإرهاقهم بالضرائب وربا اليهود الفاحش فانخفضت ملكياتهم الزراعية.[3]
- تفشي ظاهرة الجهل في المجتمع الجزائري بعدما كانت نسبة كبيرة منه تتقن الكتابة والقراءة، وهذا باعتراف القادة الفرنسيين.[4]

[1] يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1945، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2007 ص35.

[2] العيد فارس، المرجع السابق، ص 44.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 36.

[4] أرزقي شويتيام، المرجع السابق، ص 192.

المبحث الثاني: سياسة الأرض المحروقة والإبادة الجماعية

عرفت الجزائر جبهات عديدة للمقاومة الوطنية التي عملت على محاولة وقف الزحف الاستعماري وكان أهمها مقاومة الأمير عبد القادر التي شملت مناطق واسعة من الوطن خاصة في الغرب والوسط أين عطلت المشروع الاستعمار وأجبرت الحكومة الفرنسية على تغيير دائم لحكامها العامين في الجزائر لعجزهم عن إخمادها وكان أكثرهم قسوة ووحشية المارشال بيجو، الذي تولى الحكم في الجزائر من 1841 إلى 1847م وتميز عهده بكل ممقوت من أعمال الاستعمار الحديث من خلال تطبيقه سياسة الأرض المحروقة لإجبار الجزائريين على الخضوع وعزلهم عن المقاومة، حيث سلك سياسة القهر والعنف وسياسة الإبادة اتجاهها، فعمل على تجريد كل القبائل من محاصيلها الزراعية وماشيتها وتوسيع صلاحيات المكاتب العربية.

كما أصدر أوامره بإباحة الحرائق وإتلاف الأرزاق وارتكاب المجازر، وتسليط العقوبات الجماعية ذلك أن بيجو وغيره من الفرنسيين كانوا يرون أن بقاء الأمير عبد القادر حرا جعل الوطنية العربية ترفض التنحي لأنه يجسد مائة قبيلة، أمة، تقاليد، دين، عرق كامل يتنفس به ولن يسقط إلا معه، كما كانوا يرون أن أنسب شيء لتثبيت الأوروبيين بالجزائر وتمكين الاستيلاء عليها لا يتم إلا من خلال تدمير الجزائريين،[1] فقد استعملت السياسة الفرنسية كل الأساليب الإجرامية لإجهاض القوى المادية والمعنوية لروح المقاومة الشعبية مع تحطيم أسسها ومبادئها من خلال قتل روح المبادرة وإنهاك القدرات على المواجهة بأساليب غير إنسانية وغير أخلاقية.[2]

اتبعت سلطات الاحتلال الفرنسي سياسة الإبادة وسياسة الأرض المحروقة عن طريق حرق القرى والمساكن ونهب المحاصيل والممتلكات وتجويع الشعب وأبعاده عن سبيل المقاومة الوطنية، واتبع الجنرال بيجو سياسة عمل على فرضها لإخضاع الشعب الجزائري والقضاء على المقاومة الجزائرية عن طريق إتباع سياسة الأرض المحروقة، ويصرح الجنرال بيجو حولها قائلا: "إن عبور الجبال ومحاربة سكانها والقضاء عليهم أمر ضروري لذا يجب تدمير مصالحهم، ففي كل قبيلة يجب تحطيم القرى، وقطع الأشجار المثمرة، وحرق وقلع المحاصيل الزراعية، وإفراغ مخازن وتفتيش الأودية والصخور والكهوف من أجل اختطاف النساء والأطفال والشيوخ

[1] غانم بودن، من سياسة الإبادة الفرنسية محرقة الفرانسيش 19 جوان 1845، مجلة الخلدونية، المجلد09، العدد01، 2016 ص211.

[2] عبد القادر سلاماني، جرائم الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري منطقة معسكر أنموذجا "1830-1847م"، مجلة الأدب والحضارة الإسلامية، المجلد12، العدد25، 2020، ص 234.

والمواشي، إنها الطريقة الوحيدة لاستسلامهم لنا"، فقد أراد بيجو ترويع السكان وتفقيرهم والاستيلاء على المحاصيل وتدميرها ونهب الأنعام والمواشي والأملاك وإذا قاومه السكان يقوم بإبادتهم دون رحمة، هذا أسلوب الحرب الذي طبقوه والتي يبررها على أنها ضرورية في بلد تبتعد فيه كل الفوائد أمام المنهزم، ولا توجد سوى فائدة زراعية فيه، لذا يجب أخذ قطعان المواشي ومتابعة السكان يفرون وعندما ييأسون من الحرب يسهل الانتصار عليهم، عمل بيجو على إتباع سياسة الأرض المحروقة لتجويع الشعب الجزائري وإفقاره لأنه كان مجتمع يمتهن الفلاحة وأن أساس بقاء المقاومة وتواصلها يكمن في تموين القبائل الجزائرية للمقاومة، فالقضاء على مصدر تموينها وتمويلها هو القضاء عليها.[1]

نادى الجنرال بيجو سياسة الأرض المحروقة باتخاذ جميع الطرق للقضاء على شدة المقاومة الوطنية بقيادة الأمير، قصد تفقير الشعب وإبادته حتى يتم عزله عنها، وذلك لا يتم حسبه إلا بالاستيلاء على المطامير التي كانت تزود بها قوات الجيش الشعبي، ونتيجة لذلك التشبث الذي أبداه الشعب الجزائري اتجاه الاحتلال الفرنسي قرر الجنرال الاستيلاء على المحاصيل الزراعية وتدميرها وحرقها ونهب الأنعام، حتى لا تكون مؤونة لقوات المقاومة الوطنية، فقد كانت مساعي هذه السياسة تفقير الشعب وتجويعه للقضاء على مشروع الدولة الجزائرية بقيادة الأمير التي واجهت كل الصعاب للوقوف في وجه الظاهرة الاستعمارية وأساليبها التعسفية، هذا هو أسلوب المدرسة الاستعمارية الفرنسية في كيفية التعامل مع المقاومة الجزائرية، والجنرال بيجو هو الذي أكد على تطبيق هذه السياسة الإجرامية نظرا لعدم إيجاد سبل أقل قساوة منها، لصعوبة المواجهة ضد قوات من المتطوعين الجزائريين بذخيرة ومؤونة قليلة ولكن بعزيمة كبيرة وبروح قوية ومخلصة للدفاع عن الوطن، على عكس القوات الفرنسية التي تملك عتاد حربي متطور وجيش نظامي مرتب ومؤونة مضمونة وخطط عسكرية مدروسة وجنرالات من خريجي المدارس العسكرية الفرنسية إلا أنهم لم يستطيعوا الصمود في وجه المقاومة الوطنية الجزائرية بقيادة الأمير لذا اتخذوا سياسات دنيئة وبخصة للقضاء على المقاومة وتحقيق مشروعهم الاستعماري.[2]

قامت القوات الفرنسية بعدة عمليات إبادية طبقت فيها سياسة الأرض المحروقة في أغلب مناطق البلاد خاصة السهول لتواجد بها كميات كبيرة من القمح، كانت تمون القوات الوطنية لذا عملت القوات الفرنسية

[1] عبد القادر سلاماني، سياسة الأرض المحروقة أثرها على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر 1830-1847م، مجلة دراسات، المجلد07، العدد 03، 2018، ص 123.

[2] حرشوش كريمة، المرجع السابق، ص 50.

لحرق كل هذه المحاصيل ونهبها لتجويع الشعب وإخضاعه بالقوة ومن أهم العمليات الإجرامية تم حرق وتحطيم المحاصيل بجنوب مليانة لقبيلة بني زقزق ونهب كميات كبيرة من مواشيهم كما تمت مصادرة أراضي القبائل "الحشم"،[1] بمنطقة غريس ونهبت محاصيلهم ونهبت مطاميرهم، وتكررت عمليات الحرق والنهب فيها للأهمية التي تحظى بها المنطقة للقضاء على مصادر تموين الجيش، كما قامت قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو بحرق عدة أراضي كقبيلة بن مناصر وتخريب عدة حقول وسرقة المواشي وتطبيقه لأسلوب جديد في سياسة الاستعمار الشامل وفق مبدأ الذي تفنن وسهر من أجله لتحطيم البنية التحتية للمجتمع الجزائري، وهو ضرب السبيل الوحيد الذي كانت تقف عليه المقاومة الوطنية واعتمادها على المتطوعين، فالتعبئة الشعبية كانت تعتمد على ما تقدمه القبائل الجزائرية.[2]

اكتسبت الحرب التي شنها الجنرال بيجو ضد الشعب الجزائري الطابع الإجرامي والعنف إلى حد أن عدد سكان الجزائر تناقصوا على حسب تقرير أحد الضباط الفرنسيين من 1000000إلى 3000000 نسمة في مدى 07 سنوات، حمدان خوجة يقول في تقريره: "إن السكان الجزائريين تناقصوا من عشرة ملايين إلى ثلاثة ملايين نسمة"، ولم يكن الجنرال بيجو شاذا في سياسته الإستئصالية ضد الشعب الجزائري كان مع أحد معاونيه وهو الجنرال سانت أرنو،[3] يقول في مذكراته: "لقد كانت حملتنا في الجزائر حملة تدميرية أكثر من عمل عسكري ونحن اليوم وسط جبال مليانة لا نطلق إلا قليلا من الرصاص، وإنما نمضي وقتنا في حرق جميع القرى والأكواخ، وإن العدو يفر من أمامنا سائقا أمامه قطعان غنمه".[4]

نظم بيجو ما عرف بالأرتال الجهنمية والتي كان من واجبها زرع الموت والدمار حيث تسير، وقاد بيجو هذه العمليات ليعطي النموذج لقادته وضباطه وجنوده، فكانت أعمال الإبادة الشهيرة في جبال الظهرة ووادي الشلف وطبقا لأوامر بيجو فقد كان عجز القبيلة عن دفع الضرائب المفروضة عليها (غرامات الحرب)

[1] حرشوش كريمة، المرجع السابق، ص 51.

[2] حرشوش كريمة، المرجع نفسه، ص 51.

[3] سانت أرنو، مارشال فرنسا ولد بباريس عام 1798م، وتوفي 1854م، كان محامي سابق في البرلمان وعضو في المحكمة، تمت ترقيته إلى ملازم وشارك في الحروب، وكان ضابطا للجنرال بيجو ورافقه عام 1836م، أرسل إلى إفريقيا منذ الفيلق الأجنبي، وعين نقيب في 1837م، (ينظر. Narcisse Foucon, OP cit , P490)

[4] سعدي بزيان، المرجع السابق، ص ص 15-16.

كافي لكي تعتبر ثائرة، وتعرض ديارها للتدمير ومزارعها للحرق، وأموالها للنهب كانت الحياة الإنسانية في نطاق سياسة الأرض المحروقة التي فرضها بيجو شيئا لا قيمة له.[1]

ظلت لغة العنف هي المسيطرة على عقول كل العسكريين الفرنسيين الذين لا يتوقفون في عملهم من إنهاك المستعمر وتحطيمه، إلا إذا اعترف اعترافا صريحا بتفوق المستعمر فقد كتب جوزيف فرانسوا (المؤرخ وصحافي سياسي) الذي كان وثيق الصلة بالمارشال بيجو قائلا: "قال لي الماريشال بيجو يوم قابلته منذ سنتين في منزله بمدينة الجزائر، ماذا جئنا نعمل في إفريقيا؟ فأجبته: لكي نواصل العمل الذي بدأه غوديفروا ولويس السابع وسان لويس، ثم أنهى كلامه قائلا: "إن الحرب التي نقوم بها في إفريقيا إنما هي تكملة الحروب الصليبية وتحرير أوروبا من العار...، فنحن جئنا إلى أرض إفريقيا إرث الرومان"، ويظهر من خلال ذلك أن بيجو قد تبنى أفكارا تدعو إلى استعمال العنف بكل وحشية دون مراعاة للمبادئ الإنسانية،لم تكن الوحشية الاستعمارية ضد السكان العزل فعلا فرديا منعزلا عن السياسة العامة لفرنسا، إنما هي إستراتيجية تبناها كل القادة العسكريين وطبقوها بكل سادية.[2]

اتسمت سياسة بيجو بوحشية لا نظير لها وفق مبادئ التي يؤمن بها أحرز بمقتضاها على لقب قاهر الجزائر، فقد كتبت جريدة القرن عدة مقالات في نهاية 1842م، ذكرت فيها جرائم الجيش الفرنسي فالجنود يسرقون ويقتلون ويغتصبون النساء، آمن بيجو بضرورة توطيد الاستعمار الفرنسي في الجزائر والقضاء على مقومات الجزائريين وإحلال الإنسان الأوروبي محل العربي متبنيا سياسة الأرض المحروقة التي هي وحدها الكفيلة بإضعاف قدرات الشعب الجزائري حيث أكد: "قبل أن نحكم وننتصر يجب على الأهالي أن يقبلوا قواتنا، هناك ألف دليل على أنهم لا يقبلوننا إلا بالقوة، وهذه القوة تظل عاجزة إذا لم تؤثر على الأشخاص والمصالح، فإذا استمرينا في مراعاة الشعور الإنساني ستظل الحرب في إفريقيا قائمة إلى الأبد، وفي هذه الحالة لا نستطيع إدراك هدفنا الوطني" ولعل أفظع الجرائم التي اقترفها وأعوانه جريمة الفراشيش بالظهرة حيث أمر الكولونيل بيليسي[3]

[1] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 135.

[2] عسال نور الدين، الجرائم الاستعمارية في الجزائر خلال القرن 19 في ضوء المصادر الفرنسية، مجلة العبر للدراسات التاريخية، المجلد06، العدد01، 2023، ص 286.

[3] بيليسي: ولد في 6 نوفمبر 1794، في عام 1814م دخل البريتانيوم العسكري، وتم إرساله بعد شهرين إلى مدرسة سان سير، شغل منصب ملازم ثاني، وشارك في خدمة الحملة الأولى على الجزائر ينظر: (Narcisse Faucon , Op,cit, P446)

بقتل أولاد رياح بالدخان: "إذا جاءك أولئك اللصوص إلى كهوفهم فافعل معهم مثلما فعل كافيناك بقبيلة بني صبيح، شدد في تدخينهم حتى يموتوا كالثعالب".[1]

غادر بيليسي في 17 جوان 1845 منطقة أورليان فيل (الشلف) بأغلبية جيشه وتوغل في منطقة الظهرة مطبقا سياسة الأرض المحروقة بقطع الأشجار المثمرة وحرق المنازل فقررت قبيلة أولاد رياح اللجوء إلى غار محصن يسمى "غار الفراشيش"، وكان عددهم ألف شخص منهم رجال ونساء وأطفال مع حيواناتهم فقام بيليسي بتوجيه إنذار إلى الأهالي يهددهم بعزمه إحراق المغارة، مع بداية الساعة العاشرة صباحا من يوم 18 جوان طوقت المغارة كتيبتان ومدفعية فجاء بيليسي بأكداس الخشب وأكوام التبن المتواجد بكثرة ووضعها أمام مدخل الكهف مغلقا بذلك كل المنافذ حتى لا يسمح لأي عضو بالنجاة ثم أشعل النار،[2] فقامت القبائل بالتفاوض معه بنية إخلاء سبيله لكنه رفض كل الشروط، فعاد رجال القبائل إلى المغارة وأطلقوا الرصاص على المبعوثين حيث سقط منهم قتيل ليجد بيليسي الفرصة لإستعمال الطريقة التي اقترحها عليه الحاكم العام بيجو في الحالات الطارئة، فجرت الكارثة باحتراق كل من في المغارة واختناقهم.

اختلف المؤرخون حول عدد الضحايا فأثارت مجزرة الظهرة ردود فعل متباينة حول هذه الحادثة الشنيعة لكن الجنرال بيجو كانت ردة فعله معاكسة للآخرين، فقد قدم احتجاجا لدى الوزير مدافعا عن بيليسي الذي اعتبره بطلا قدم خدمات جليلة لفرنسا لقوله: "يؤسفني أن أراك متحاملا بدون تحفظ على سلوك الكولونيل بيليسي، وأرى لزاما على نفسي أن أعتبر الكلمات الصادرة عن النواب في 11جويلية غير لائقة لأنها ستحدث أثرا سلبيا على الجيش وأن أرى مراعاة القواعد الإنسانية تجعل الحرب في إفريقيا بدون رحمة"، لم يتوقف موقف بيجو عن هذا الحد بل سعى إلى تكريم المسؤولين عن تلك المجازر فنال العديد من العقداء الفرنسيين على الألقاب كمكافأة لهم غير أن الماريشال بيجو أصر على أن تتم ترقية بيليسي قبل أي أحد،[3] إن فكرته عن الحرب لا تبدو غريبة إلا من حيث الظاهر، لأنها تكشف عن الرغبة المسيطرة على نفوس العسكريين وهي نيل المجد وإخضاع البلاد، إنها الحرب من أجل الحرب[4]، إن أفكار معظم القادة العسكريين الفرنسيين كانت تهدف إلى القمع واتخاذ جميع الطرق للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية وبشتى أساليب الحرق والتدمير والقتل بأبشع الطرق.[5]

[1] عسال نور الدين، المرجع السابق، ص 287.

[2] عسال نور الدين، المرجع نفسه، ص290.

[3] مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، الجزائر، دار القصبة للنشر، دط، 2007، ص113.

[4] مصطفى الأشرف، المرجع نفسه، ص114.

[5] حرشوش كريمة، المرجع السابق، ص49.

المبحث الثالث: سياسة المكاتب العربية

1- نشأة المكاتب العربية:

ظلت فرنسا بعد محاولات عديدة ومناقشات أكاديمية متباينة حول مسألة الإدارة المباشرة واللامباشرة تبحث عن أسلوب إداري استعماري يمكن بواسطته إخضاع الجزائريين لسلطتها وبفعل الضرورة وقوة الأشياء لإستكمال المؤسسة الاستعمارية، كان لابد من البحث عن عناصر فرنسية عسكرية تتكيف مع الأهالي وتتوغل في أوساطهم،[1] لهذا قرر الدوق دوروفيغو في 1833م إنشاء هيئة مكلفة بجمع المعلومات عن الجزائريين تكون همزة وصل بينهم وبين الفرنسيين، حيث تجسد في الديوان العربي،[2] وتتابع العلاقات مع القبائل ودراسة شؤونهم وقضاياهم من كل الجوانب الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية والإحتكاك بهم عن قرب وتسليم تقرير يومي عن وضعيتهم، وكان أول مسؤول في هذا المنصب هو الجنرال لاموريسيار الذي كان يتقن اللغة العربية حيث جعل منها جهازا متقنا للإعلام والدعاية.[3]

وفي 1837م تحولت هذه الهيئة إلى مصلحة للشؤون العربية أسندت رئاستها إلى الجنرال بيليسي تولت هذه المؤسسة تسهيل عملية الإتصال بشيوخ القبائل والتفاوض معهم مقابل احترام فرنسا لأساليب عملهم وعاداتهم وتقاليدهم وحماية مصالحهم وتطبيق العدالة ونشر السلم، إلا أنها ألغيت في 1839م من طرف الحاكم العام فالي وربطها مباشرة بقيادة الأركان العامة للجيش مما أعطى الأولوية للغزو العسكري[4] وفي عهد بيجو تم إعادة إحياء نشاط مصلحة الشؤون العربية برئاسة دوماس في 16 أوت 1841م وبمقتضى مرسوم وزاري مؤرخ في 01 فيفري1844م نشأت المكاتب العربية وترسخت بقوة بعد بعض الإختلالات.[5]

---

[1] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، 1830-1925م، قالمة، مديرية النشر لجامعة قالمة، دط، 2010، ص72.

[2] كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص176.

[3] محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954، تر: محمد المعراجي، الأكاديمية الجزائرية للمصادر التاريخية، منشورات ANEP، دط، 2008، ص170.

[4] حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1844-1870 تيارت سعيدة جيرفيل البيض نماذجا، رسالة دكتوراه،جامعة وهران، 2014/2013، ص54.

[5] بن عمارة زوينة، الحاكم العام الفرنسي في الجزائر الجنرال بيجو وأثر سياسته على الجزائريين1841-1847، مجلة الإحياء المجلد22، العدد30، 2022، ص1021.

كان ظهور هذه المؤسسة من إيحاء الجنرال دوماس الذي كان قد درس تنظيم الأمير عبد القادر فأعاد بيجو إلى أسلوب الحكم غير المباشر الذي يتولاه زعماء عرب ينتمون إلى طبقة النبلاء العسكريين أو الدينيين فطبقة النبلاء كانت تمارس سيطرة كبيرة بين الأهالي فأخذوها بعين الاعتبار[1]، وهذا ما جاء في قوله في أمر مؤرخ في 17سبتمبر1844م "يجب أن نعين الرجال الذين لديهم نفوذ على القبائل، لا يزال النسب يمارس أثرا عظيما بين الأهالي، لذلك يجب دائما أخذه بعين الاعتبار".[2]

ويمكن القول أن نشأة المكاتب العربية التي تشكل العنصر الرئيسي في حكومة العرب قد اعتبرت من طرف المستعمر منذ البداية كإجراء جيد وهادف من أجل مراقبة وتأطير رؤساء الأهالي واتخاذه إجراءات كثيرة في مجال دمج المؤسسات الجزائرية داخل المؤسسات الفرنسية، ووضعت لها هياكل إدارية بحيث تصبح هذه المكاتب كوسيلة استخدمها بيجو لإخضاع الجزائريين والقضاء على ما بقي من مؤسسات الدولة الجزائرية.[3]

2- تعريف المكاتب العربية:

عرف دوماس المكتب العربي بأنه المؤسسة التي تتمثل مهمتها في ضمان تهدئة القبائل بصفة عامة وذلك بإدارة عادلة ومنتظمة وتهيئة السبل لاستيطاننا وتجارتنا وحماية كل المصالح الشرعية، وقال أنه بواسطتها يمكن التغلب على جميع العراقيل التي تواجهنا في مجتمع في غاية الإختلاف عن مجتمعنا بعاداته ودينه، وقال بأنها تميل للبحث عن الحل السلمي لكل المشاكل التي كانت تتطلب في أحيان كثيرة استعمال القوة.[4]

أما فرديناند هيقونيت[5] FERDINARD HUGOUNET فقد ذكر أن: المكتب العربي هو حلقة وصل ما بين الجنس الأوروبي الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ عام 1830م والجنس الأهلي الذي يقطن البلاد من قبل ولا يزال إلى الآن.

أما شارل ريشار[6] Charles Richard يصفها: إن مؤسسة المكتب العربي هي وسيلة عمل وهي أساس تفكيرنا قبل أن تكون وسيلة لتعبيرنا.[7]

---

[1] شارل روبير أجيرون، المرجع السابق، ص38.

[2] بن عمارة زوينة، المرجع السابق، ص1021.

[3] صالح فركوس، المكاتب العربية ومراقبة الرأي العام الجزائري (من خلال وثيقة جديدة تنشر لأول مرة)، مجلة الحوار الفكري، المجلد02، العدد02، 2001، ص45.

[4] عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، الجزائر، موفم للنشر، دط، 2010، ص177.

[5] فرديناند، هيقونيت: ضابط فرنسي وهو أحد رؤساء المكاتب العربية.

[6] شارل ريشار: أحد رؤساء المكاتب العربية.

[7] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ...، المرجع السابق، ص73.

3- تنظيم المكاتب العربية:

قسمت السلطات الاستعمارية القطر الجزائري إلى ثلاث مقاطعات هي: مقاطعة الجزائر العاصمة مقاطعة قسنطينة، مقاطعة وهران، وقسمت كل مقاطعة إلى قسمات وكل قسمة تتشكل من أربع دوائر أو خمسة إذ أسندت قيادة الدوائر الكبيرة إلى الخلفاء والباش أغوات، كما قسمت الدوائر بدورها إلى أقسام بقيادة الآغاوات وفي الآغاليك كانت كل قبيلة يقودها قايد وقد تقسم القبيلة إلى فرق بقيادة الشيوخ وهؤلاء القواد والمشايخ المعينين من قبل الجنرالات يتمتعون بامتيازات بما يتعلق بالضرائب والغرامات، ولا يخفى كذلك أن النظام الإداري الذي اعتمده الحاكم العام كان نفس النظام الذي تبناه الأمير عبد القادر المبني على معرفة عميقة بخصوص المنطقة وسكانها.[1]

كانت تتشكل المكاتب العربية في كل مقاطعة أو عمالة جزائرية من موظفين متمثلين في: ضباط مرسمين وآخرين متربصين، أرشيفيين، مترجمين، أطباء، قضاة، خوجة، شواش وفرسان خيالة صبايحية، خلال سنة 1857م بلغ عدد المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة 18 مكتبا وملحقان وفي مقاطعة الجزائر 14 مكتب وفي مقاطعة وهران 12 مكتب، كما وصل عدد الضباط الموظفين بهذه المؤسسة 39 ضابطا خلال 1855م[2].

4- مهام المكاتب العربية:

إن ضباط المكاتب العربية هم ضباط للمعلومات والأخبار، فدور المعلومات والأخبار التي يجمعونها كان له تأثيره ونتائجه الهامة خاصة في بداية الاحتلال أين كان من الضروري معرفة كل شيء عن الأهالي فقبل عملية الإخضاع كان على ضباط المكاتب العربية الإستعلام عن القبائل الثائرة والشخصيات التي يمكن أن تقدم مساعدات وخدمات من أجل إقامة علاقات مع الفرنسيين والتحضير لتوسيع رقعة الغزو والاحتلال، أما المهمة الأساسية لهؤلاء الضباط هي الإستكشاف، فهم ينتقلون باستمرار إلى مناطق البلاد حيث يترددون على الأسواق ويتعاملون مع السكان والزعماء ويسجلون العادات والتقاليد والسلطات السياسية المتداولة، ويدونون كل ملاحظاتهم الجغرافية والتاريخية.[3]

---

[1] بن عمارة زوينة، المرجع السابق، ص1022.

[2] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ...، المرجع السابق، ص73.

[3] سيساوي أحمد، المرجع السابق، ص185.

وبذلك مهدوا لتأسيس ما يعرف بالدراسات الإحصائية والخرائط الضرورية لتنظيم حكم القبائل بالإضافة إلى ذلك كانوا يقومون بتقارير سياسية وإدارية بانتظام بالإضافة إلى كون ضابط المكتب العربي شخص إداري، فإنه يلعب دور الوسيط بين السكان وزعماء الأهالي من جهة والقيادة العسكرية من جهة أخرى، وذلك بفضل المعلومات التي يحصلون عليها ولمعرفتهم العامة بالأماكن التي يقيمون فيها والشخصيات التي يعمل تحت رقابتهم، ومن ثم فإنهم يمكنهم تقديم الإقتراحات والتقارير لرؤسائهم المباشرين، لكن القرار الحاسم لا يعنيهم وليس من اختصاصاهم، فالأوامر تملى عليهم حسب تدرجهم في المكاتب العسكرية من الحاكم العام، وذلك تبعا لأهمية الحالات المعروضة فليس عليهم إلا ترجمة تلك الأوامر وتبليغها لزعماء الأهالي وأمرهم بتنفيذها وعليه السهر على تطبيق الأوامر ومراقبة تطبيقها في جميع فروع الإدارة الأهلية،[1] ومراقبة عملية توزيع الضرائب حيث كانت توكل إلى زعماء الأهالي، وبالتالي فقد أشرفوا منذ ذلك على عمليات الجباية وجمعها وتسجيل المبالغ المدفوعة، كما يقومون بتنفيذ غرامات الحرب المفروضة كعقاب على القبائل الثائرة من طرف القياد والقادة العسكريين، ممارسة الرقابة الشامل على سكان الأهالي المشبوهين منهم أو الموظفين منهم إلى جانب دور الشرطة الذين يقومون بهم، فقد أسندت إليهم مهام قضائية فكان لهم الحق في سماع وتلقي الشكاوي والدعاوي المقدمة من الأهالي وكذلك من طرف الفرنسيين في المناطق الفرنسيين في المناطق المختلفة، والإطلاع على المسائل والقضايا الجنائية الخطيرة للأهالي كما لهم الحق في مراجعة الأحكام الصادرة من قبل القياد والأغوات والخليفة.[2]

5- دور المكاتب العربية:

5-1- الدور العسكري: قامت بدور فعال في إخضاع القبائل الجزائرية والسيطرة الاستعمارية، إذ دعمت عملية الجوسسة وتقديم المساعدات للقضاء على المقاومة الشعبية تحت إمرة الأمير عبد القادر، حيث لعب العملاء الذين أوجدتهم هذه المكاتب دورا كبيرا في الكشف عن مصادر تموين قوات الأمير وبالتالي مكنت الجيش الفرنسي من مراقبة تحركاتهم، كتب أحد ضباط هذه المكاتب قائلا: "لما كنت رئيسا لمصلحة

[1] سيساوي أحمد، المرجع السابق، ص186.

[2] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ...، المرجع السابق، ص84.

الشؤون العربية بدائرة القالة، كان همي الوحيد مراقبة الرأي العام للسكان والعمل على إخضاعه لتأثير من خلال ضرب كل من يهدف إلى التمرد على الاستعمار".[1]

5-2- الدور الإداري: لم يقتصر دور المكاتب العربية على إخضار الأهالي ومراقبتهم بل تعداه إلى الجانب الإداري، فبمجرد إنشائها حاول ضباطها رسم تنظيم إداري جديد للقوائم والبلاد بكاملها وتبعا لذلك تم تقسيم القبائل إداريا إلى مجموعة من القيادات، تتضمن كل قيادة مجموعة من القبائل والعشائر وكانت السياسة الفرنسية ترمي من وراء ذلك إلى التقليص من نفوذ رؤساء الأهالي الكبار والحد من ممارسة سلطتهم على القبائل من أجل تفتيت وتشتيت القيادات والزعمات الأهلية ذات السلطة والنفوذ حتى لا يكون خطرا في مستقبل السيادة الفرنسية.[2]

5-3- الدور الثقافي: اهتمت المكاتب العربية بمتابعة ومراقبة تعليم الأهالي الذي كان يستمد أصوله من الدين الإسلامي والذي كان يشكل عقبة أمام الفرنسيين لتجسيد مشروعهم الاستعماري، كما كان لها دور في مراقبة رجال الدين وفرض رقابة دائمة على المساجد والزوايا وكل المنتمين إليها.[3]

5-4- دور المكاتب في مجال القضاء: انتزع الحكم في الجنايات من أيدي القضاة المسلمين وحول إلى قضاة المحاكم الفرنسية بحلول 1841م، وصدر مرسوم في 02 جانفي 1844م نص على "أنه عند ارتكاب جريمة لم يعثر على مرتكبها يتم تغريم القبيلة بأكملها إذا لم يسلم الجاني في غضون شهرين" لم يكن للجزائريين أي حق في الاعتراض على هذه الإجراءات ولكي يتجنب بيجو عداء القبائل له ولتهدئة الرفض الجزائري لهذه القوانين التعسفية، قال: "يجب أن نحافظ على تضامن القبائل من خلال عدم تطبيق العقوبة التي يستحقها واحد فقط على الجميع، إن معاقبة المذنبين الحقيقيين أكثر فائدة من جلب آلاف الفرنكات إلى خزينة الدولة التي يدفعها الأبرياء".[4]

[1] صالح فركوس، المكاتب العربية...، المرجع السابق، ص48.

[2] يحي بوعزيز، سياسة التسلط...، المرجع السابق، ص11.

[3] عميراوي أحميدة، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، عين مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2005، ص119.

[4] بن عمارة زوينة، المرجع السابق، ص1022.

6- أهداف المكاتب العربية:

- تحقيق الاستعمار بالاحتلال الشامل وإخضاع القبائل الاستعمارية فتكون واسطة بين الأهالي والسلطة العليا.
- مراقبة المرابطين وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية ورجال الدين.
- جمع المعلومات الجغرافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية لتسهيل عملية الاحتلال.
- تنظيم الاستيطان من خلال إحصاء الأراضي وأنواعها، والإشراف على الأشغال العمومية من إنجاز الطرقات وإنشاء قرى وغيرها.
- مراقبة القبائل وتتبع تحركاتها خاصة تلك التي كانت مساندة للمقاومة الوطنية.
- المساهمة في العمل العسكري من خلال إشراف على تسليح القوات الأهلية وشراء الأسلحة إضافة إلى المشاركة في الحملات التأديبية للقبائل.
- العمل على إقرار الأمن والإستمرار بمراقبة الطرق لأجل تنشيط الاستيطان والتجارة خاصة الصحراوية منها.
- المراقبة والإشراف على التعليم العربي.[1]
- تولي مهمة القضاء والفصل في خصومات الأهالي.
- استخلاص الضريبة.[2]

وعلى أي حال فإن الأهداف التي من أجلها أنشئت المكاتب العربية كثيرة، ذكرنا أهمها وهي أهداف في صالح الاستعمار قصد ترسيخ فكرة "الجزائر فرنسية" وهي في كل الأحوال ليست إدارة كما يرغب الجزائريون المسلمون، بحيث تستجيب لحاجياتهم أو تعمل على ترقيتهم أو تحسين ظروف حياتهم، بل كانت جزء لايتجزأ من الآلة الاستعمارية التي زرعت الموت والدمار وأثرت على الأخضر واليابس.[3]

[1] حباش فاطمة، المرجع السابق، ص62.

[2] صالح فركوس، محاضرات في تاريخ...، المرجع السابق، ص73.

[3] صالح فركوس، المرجع نفسه، ص73.

الفصل الثالث

مصير سياسة بيجو في الجزائر

تمهيد

المبحث الأول: موقف الأمير من سياسة بيجو.

المبحث الثاني: المواقف الإقليمية و الدولية من الوضع في الجزائر على عهد الجنرال بيجو.

المبحث الثالث: نهاية حكمه في الجزائر.

تمهيد

عرفت الجزائر تجربة مريرة مع سياسة بيجو التي تعددت أوجهها من سياسة النفي إلى الإبادة والتهجير وغيرها من السياسات التي شملت مختلف الميادين، إذ كانت الغاية من ورائها القضاء على الجزائر أرضا وشعبا وفرض السيطرة على كامل التراب الجزائري، وكان متأكدا أنه لن يحقق ذلك إلا بالقضاء على المقاومة الشعبية، كان لسياسته التي انتهجها ردود أفعال مختلفة سواء على المستوى الدولي أو الوطني، هذا الأخير متمثل في مقاومة الأمير عبد القادر الشخصية المقاومة التي برزت في الجهاد، وقد كان الرد النضالي النوعي الذي افتتحت به الجزائر تاريخها، أما على المستوى الدولي فتدخلت كل من الدولة العثمانية والمغرب وبريطانيا، كان لكل منها رد فعل، إما بالحياد أو باختيار أحد الطرفين ودعمه، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل.

المبحث الأول: موقف الأمير من سياسة بيجو.

تولى الجنرال بيجو منصب حاكم عام للجزائر في 22 من شهر فبراير 1841م، وقد نظر الأمير عبد القادر إلى هذا التعيين أنه ليس من المستحيل إغراء الحاكم الجديد، ولكن التصريح الأول لبيجو قد أظهر له الحقيقة ذلك أنه قد أعلن عن أرائه عن الشؤون الجزائرية قد تغيرت كلها، فقد رفض فكرة الاحتلال الفرنسي المحدود ونادى بتوسيعه، وعلى هذا الأساس فإن كل قوة تعترض ذلك يجب سحقها. والواقع أن الحكومة قد درست بإمعان قوة خصمها العنيد لذلك وضعت تحت تصرف بيجو 85000 رجل، وقد قدروا أن هذه القوة الضخمة كفيلة بالإسراع لا بهزيمة الأمير عبد القادر فقط ولكن بمطاردته خارج الميدان، والصعوبة الكبرى ليست في هزيمة الأمير بقدر ما هي في اللحاق به، فالفرنسيون كانوا أقوى منه لكنه كان أخف منهم، هم يتحركون في طرق ممهدة في طوابير طويلة مثقلين بالمدافع وسيارات الإسعاف، والمعدات أما هو فبعد أن يرى هدف هجوم عدوه يتفاداه مؤقتا، وقد كان للعرب ميزة واحدة كبرى على الفرنسيين، وهي أنهم كانوا يخبئون المواد الغذائية أينما حلوا، إن مخازن الحبوب المنتشرة تحت الأرض في مختلف الجهات قد أعطتهم موردا لا ينضب، أما الفرنسيون فقد كان عليهم أن يحملوا معهم مواد تموينهم وهكذا كان الفرق جديا وهاما.[1]

قرر الأمير عبد القادر طبقا لنظامه الجديد ألا يضيع قواته بلا طائل في محاولات الدفاع عن قلاعه، لذلك تخلى عنها جميعا، وكان جيشه النظامي أكثر فائدة ونجاحا في استخدامه لعرقلة الفرنسيين أثناء تقدمهم، وقد أصبحت المدن المحصنة بالنسبة لأسلوب الحرب الجديد الذي دعا الأمير عبد القادر لمواجهته حملا ثقيلا، كان يشعر بفرح في التخلص منه، والرسالة التالية التي أرسلها إلى الجنرال بيجو خلال هذه الفترة تكشف عن هوية مرسلها:[2] "ما الذي دفع بفرنسا التي تقول عن نفسها أنها أمة قوية ومسالمة أن تأتي إلى بلادنا وتعلن الحرب علينا؟ أليس لديها ما يكفيها من الأراضي، أي ضرر تستطيع أن تأخذنا إليه بالمقارنة إلى ما تبقى لنا؟ إنها ستمضي وتتراجع، ولكنها بدورها ستضطر إلى التراجع وعندئذ سنعود...، وأنت أيها الحاكم العام أي ضرر تستطيع أن تنزل بنا؟، إنك في المعارك ستخسر من الرجال مثل ما نخسر، وجيشك ينقص سنويا بالأمراض فأي تعويض تظن أنك تستطيع تقديمه إلى ملكك وبلادك مقابلة خسائرك الضخمة في الرجال والأموال؟ إنه لا يعدوا قطعة من الأرض وأحجار مدينة معسكر، إنك تحرق وتتلف حرثنا، وتنهب مخازن

[1] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 192.

[2] هنري تشرشل، المصدر نفسه، ص 193.

حبوبنا، وماذا يعني بالنسبة إلينا ضياع سهل غريس الذي لم تتلفوا حتى جزءه العشرين، عندما نزال نمتلك كثيرا من السهول الأخرى، إن الأراضي التي تأخذها منا ليست سوى قطرة ماء أخذت من البحر وسنحاربك عندما نرى أن ذلك مناسب، إنك تعلم أننا لسنا جبناء، أما اعتراضنا للقوات التي تجرها وراءك فسيكون حماقة ولكننا سنطاردها وننهكها ونشتتها وليكمل الطقس البقية، وهل تتوقف الموجة عن الصعود والتضخم عندما يلامسها طائر أثناء طيرانه السريع؟ تلك هي صورة مروركم بإفريقيا.[1]

أما فيما يتعلق بطريقة تعامل الأمير عبد القادر مع الفرنسيين إنطلاقا من الشرعية التي اكتسبها والمساندة التي حظي بها فقد انتهج سياسة الاعتماد على الذات وتثمين الإمكانيات الداخلية والقدرات الاقتصادية المحلية فنجح في ذلك إلى حد بعيد واستطاع تحقيق السلام وحماية السكان وهذا ما يفسر لنا طبيعة تعامل الأمير مع الجنرال بيجو، كما حصل على حق السيادة في إطار ضمانات الشرعية الدولية،[2] وعمل على تقويه الجهاز المركزي على أسس تتجاوز مفهوم البنية القبلية إلى فكرة بناء دولة تقوم على المؤسسات الكفيلة بإدماج السكان والمحافظة على مصالحهم ورعايا شؤونهم، قد سمح هذا النظام الإداري والقضائي المحكم للأمير أن يكسب تأييد العامة ومساندة الخاصة وأن يقر الأمن ويضمن الهدوء في أرجاء دولته لقوله:

من عادة السادات بالجيش تحتمي

وبي يحتمي جيش وتحرس أبطالي[3].

وفر معظم أنصاره فانحاز إلى المغرب ساعيا في إقناع السلطان ليدخل الحرب ضد الفرنسيين، فضيقت عليه فرنسا من البر والبحر، فاضطر عبد الرحمن إلى عقد الصلح معها في 1844م، بشروط أملتها عليه كان أولها: عدم تمكين الأمير من اجتياز حدود الجزائر، فبقي في المغرب ينتظر ثغرة تمكنه من الدخول على العدو، ولما كانت 1846م قامت ثورة في الجزائر، فانقض عليها ثانية وبلغ بلاد القبائل واستعاد مركزه كما كان، فما لبث الفرنسيون أن أحاطوا به من كل جانب فاضطر إلى الانسحاب ثانية إلى المغرب.[4]

---

[1] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص194.

[2] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، دط، 2001 ص210.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص ص 216- 219.

[4] نزار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1994، ص12.

عبر الجيش الفرنسي أراضي دولة الأمير دون إذن منه فأدرك أن الجيش كان يعمل من أجل مهاجمته خوفا من تزايد قوة دولته، فأرسل رسائل إلى نوابه يقول لهم فيها: "إن الكافر قد جابهنا بالخيانة، ودليل خيانته أوضح من النهار لقد عبر بلادي دون إذني فاجمعوا شملكم واربطوا أحزمتكم استعدادا للمعركة إنها على الأبواب، كونوا عاجلين في عملكم وسارعوا إلى الانضمام إلي في المدية حيث أنتظركم..."، فاجتمع رجال الدولة مع الأمير في المدية للنقاش في المسألة فاتفق جميعهم على العودة إلى القتال فقال الأمير: "ليكن ذلك ما دامت هذه رغبتكم ولكني أقبل المسؤولية بشرط واحد، أنكم ستتعرضون للتعب والمشقة والمحن والخيبات، وقد تقنطون أو تتعبون من الحرب، فأقسموا إذا على القرآن الكريم أنكم لن تتخلوا عني أبدا ما دمت أحمل راية الجهاد..."، فأقسم له الجميع بذلك، وأخبر الأمير الحاكم الفرنسي بيجو بإعلانه الحرب عليه لأنه ليس من شيم الأمير الخديعة والخيانة والغدر ونقض العهود مثل القادة الفرنسيين.[1]

قد لخص كافينياك هذا كله فقال: "لقد تمكن الأمير من إعادة بناء قوته التي اعتراها التفكك والتلاشي ثلاث مرات:

- **الأولى:** عندما استولى الجيش الفرنسي على عاصمته.
- **الثانية:** عندما غزا تلمسان.
- **الثالثة:** بعد معركة سكاك".[2]

إن بيجو لم يقرأ حسابا جديا لطاقة الأمير العنيدة ولروح المقاومة الصلبة لدى القبائل والعشائر، وقد رد الأمير عبد القادر على بيجو سنة 1844م يقول: "إنني أعرف شريعتي أحسن المعرفة وأعرف جيدا أن الساعة واحدة في مقاتلة الكفرة لهي أفضل عند الجندي من 70 سنة في مكة".

أقام الأمير مركزه العسكري جنوب غربي تلمسان قريبا من الحدود المغربية وأعد مخطط الحملة، فبعث بروح المقاومة والجهاد في القبائل والعشائر، منعهم من الانضمام إلى الفرنسيين ورأى بيجو أنه من الأنسب أن يجدد للأمير طلب الأمان والاستسلام وكان جواب الأمير لم يتغير: "مرة أخرى تطلب مني أن أوقف حربا يستنكرها –كما تقول– الدين والقوانين الإنسانية، إنني أعرف ماذا تأمرني به شريعتي والذي تنهاني عنه، وليس للمسيحي أن يعلم مسلما ما جاء به القرآن.

[1] بشير بلاح، المرجع السابق، ص179.

[2] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 215.

أما عن الإنسانية فالأحسن لك أن تقول للفرنسيين، أن يعملوا قبل كل شيء بالنصائح التي يسدونها إلي، أسالك أولا من هو الذي ينتهك القوانين الإنسانية. أهُم أولئك الذين غزت جيوشهم بلاد العرب الذين لم يعتدوا عليهم أبدا وأولئك الذين يحملون في طياتهم الخراب والكراهية والدمار، لا تحاول أن تبهر عيني بالذهب الذي يغمرني به مَلكك...، إذا ما قبلت الاقتراح الذي تعرضه علي باسمه في أن أتوجه إلى مكة وأعيش بها، فلا الخوف ولا العوز بقادرين على تحويلي عن طريق الله التي أنتهجها مقاوما غزاة بلادي".[1]

هذا وحاول الأمير عبد القادر أن يقوم بهجوم مضلل على مؤخرات الوحدات الفرنسية والدخول إلى الجزائر فبقي على الحدود يشجع القبائل على الصمود والمقاومة ويعد العدة لرجوعه إلى أرض الوطن بعد ما كان في المغرب في 1845م، حاول من جديد فك الحصار المضروب على دائرته للالتحاق بالشلف حيث المقاومة شاملة، ولكن طرق الجنوب معسكر وتلمسان كانت مسدودة ومحاصرة، وفكر في أن يجد ممر له ولرفقائه للتوجه إلى مكة مع جميع من رفض السيطرة العدو الغازي، وفي ذلك الوقت وصل الخبر الذي طالما ترقبه فالقبائل عبر البلاد، قد ثارت فكانت شارة الثورة شاملة، حيث كان الأمير يتابع باهتمام بالغ التطورات وكانت الردود على الرسائل التي يبعث بها داخل الوطن تؤكد بأن الجميع ينتظره على أحر من الجمر.[2]

وقد قال بيجو بأن حوالي 30.000 إلى 40.000 متطوع قد انضموا إليه، وفي سبتمبر1845م توجه الأمير مع أنصاره نحو ودخلوا وادي تافنة وزاد حماس القبائل ليتردد اسم الأمير عبد القادر الصدى الحاسم، فأصبحت مهمة الأمير تكتسب طابعا آخرا فلم تعد القضية القيام بالحرب غربي الجزائر فقط، وإنما في كل شبر من أرض الوطن وتجمع القبائل في المناطق المحررة وغزو المنطقة التي يحتلها الفرنسيون، وضاعف بيجو من عدد جنوده فأصبح جيشه يضم 100.000رجل، وكلفت 15 حامية عسكرية فرنسية بمنع الأمير وحده عن الدخول إلى التل ولكن هذا العدد الضخم الذي يحتوي عليه الجيش الفرنسي قد عجز أمام أقل من 2000 فارس و10.000 من المشاة الذين كان على رأسهم الأمير عبد القادر الذي استطاع أن يخترق قوات العدو، وواصل طريقه في الاتجاه الشرق الجزائري ملتحقا بالمقاومين في الشلف، وفي نوفمبر 1845م توجه الأمير عبد القادر نحو الجنوب مضطرا للتغول داخل الصحراء ثم صعد نحو الونشريس، ورجع من جديد إلى الجنوب فقد كان الأمير لا يعرف الراحة أو التعب واستطاع أن يقطع 35 مرحلة في يومين والنجاة من ثلاث

[1] محفوظ قداش، الأمير عبد القادر...، المرجع السابق، ص 85.

[2] محفوظ قداش، الأمير عبد القادر...، المرجع نفسه، ص 86.

حاميات عسكرية فرنسية، ثم ينطلق في مطلع 1846م نحو متيجة وخلال المعارك كان المثال الحي للبطولة والتضحية، كما أن الوضعية المأساوية التي كانت تشمل القبائل في مطلع سنة 1847م اشتمال سياسة العدو على أسلوب الأرض المحروقة أجبرت الأمير على سلوك طريق الغرب الجزائري ليستقر، فأرسل سلطان المغرب فرقة عسكرية لمطاردة الأمير فباءت بالفشل، وأرسل من جديد فرق أخرى.

فحاول الأمير عبثا تذكير السلطان بواجبه: "ليس من المعقول أن ينقلب أمير المسلم هكذا على أخ له في الدين لصالح المسيحيين"، وأرسل إليه السيد البوحميدي، ولكن السلطان المغربي سجنه إلى أن مات مسموما، ولم يبقى للأمير إلا أن يعتمد على جنوده فقط فأقر العزم على مهاجمة القوات المغربية ولكنه فشل فحاول الأمير عبد القادر عندئذ إنقاذ النساء والأطفال والشيوخ والجرحى من الدائرة، وهكذا استطاعت دائرة الأمير أن تخرق الحصار وتدخل الأرض الجزائرية، حيث عقد آخر اجتماع مع من بقي معه من جنود وقادة وأنصار فتكلم وذكر بالعهد الذي قطعه على نفسه منذ مبايعته وتوليه القيادة وما جرى بينه وبين الفرنسيين وما تعرض له من خيانات ومؤامرات.[1]

وأضاف قائلا: "لم يبقى أمامنا إلا أحد حلول ثلاثة: إما أن نقتحم في عملية انتحارية، وإما البحث عن ممر آخر من الجبال وإن كان كل من هذين الحلين لا يؤدي من بعيد، ويدفع بنا في النهاية أن ندع بين أيدي عدونا نساءنا وأولادنا وجرحانا، والحل الثالث والأخير هو أن نستسلم".

فأجابوا بصوت واحد: "لتمت نساؤك ونساؤنا، المهم أن تنجو أنت فأنت الرأس وأنت سيدنا جميعا، وأنت وحدك الذي تستطيع استئناف الجهاد، ولكن الأمير عبد القادر كان يعرف نهاية المصير،[2] فتوقف الأمير عبد القادر بعض لحظات وقال: "صدقوني أن المقاومة قد انتهت فلنعترف بذلك والله شاهد على أننا حاربنا طالما كان ذلك في استطاعتنا، فإذا لم ينصرنا فلأنه حكم أن تكون هذه الأرض للمسيحيين وبقائي في البلاد أو عدم بقائي فيها لا يغير من الأمر شيئان وماذا أستطيع أن أفعل أكثر مما فعلت من أجل القضية التي دافعنا عنها طويلا، هل في استطاعتي أن أستأنف الحرب، إنني سأهزم وسيتعرض العرب إلى المزيد من الآلام.

كتب رسالة إلى لاموريسيار يعلن فيها مطالبه، وعندما اتصل برسالته كتب إلى سموه مايلي: "إنني الآن ممتط جوادي في طريقي إلى الدائرة وليس لي الوقت أن أرسل إليكم نسخة من الرسالة وجوابي عليها: "يكفيني

[1] محفوظ قداش، الأمير عبد القادر...، المرجع السابق، ص 87.

[2] محفوظ قداش، الأمير عبد القادر...، المرجع نفسه، ص 88.

أن أذكر بأنني وعدت ووافقت على أن يؤخد الأمير وعائلته إلى عكا أو الإسكندرية"، وفي يوم 25 ديسمبر1847م ركب الأمير وأتباعه السفينة التي توجهت بهم إلى طولون، كانت السلطات الفرنسية قد باعت كل ممتلكاته الشخصية بمبلغ 6.000 فرنك، قيد هو وعائلته إلى قلعة لامالق واندهش عبدالقادر من ذلك واحتج ضده، وفي اليوم التالي لسجنه تقدم إليه دوماس[1] بأسخى العروض إذا رضي فقط أن ينسى الوعد الرسمي فعرض عليه مكانة مرموقة في فرنسا.

رفع رئيس الجمهورية صوته لإنقاذ قضية العدل والحق، ففي14 جانفي 1849م بعد أربعة وعشرون يوما من انتخابه للرئاسة (لويس نابليون) إلى اجتماع لدراسة الموضوع، وقد دافع عن قضية الأمير بأحر العبارات وأصر أن الاستسلام كان اختياريا وعلى أنه كان اعتمادا نبيلا على الشرف الفرنسي من جهة وعلى الوعد الذي وعد به من جهة أخرى، وتحركت في الماريشال بيجو مشاعر التقدير والشفقة على خصمه الأمير فكتب إلى الأمير رسالة يقترح عليه فيها حلا يضمن وجودا مريحا، "إنني آمل أن تقرر في جعل فرنسا وطنا لك، وتسأل الحكومة في أن تعطيك حق التملك مع حق الانتقال لورثتك،وبتلك ستكون لك مكانة تتساوى مع تلك التي هي لأعظم رجالنا نفوذا، إنني أخشى من هذا الاقتراح لن ينجح في التأثير عليك، ولكنه اقتراح جدير بالنظر والتقدير من أجل مستقبل أولادك ومصير العديد من الاشخاص الذين هم معك".[2]

لكن الأمير لم يلن فقد استمر في رفض سماع لأي مساومة، فقال: "لقد طلبت كشرط استسلامي وعد رجل فرنسي فأعطانيه دون قيد أو شرط، وبذلك كانت فرنسا ملتزمة لي كما أني ملتزم لها، فطلب نسيان الماضي أمر مستحيل، إنني لن أعيد إليكم وعدكم، سأموت معه خزيا خالدا لكم وعار، وستعلم الملوك والشعوب من أمثالي أي ثقة تمنحها لكلمة الإنسان الفرنسي، إن قناعتي في الوقت الحاضر قد تزعزت فأعيدوها بمنح حريتي، غالبا ما قلت في نفسي إن يأسرنني الفرنسيون في معركة فسيعاملونني بشهامة وبعد! فأنا لم أؤخذ أسيرا وإنما سلمت نفسي بملئ إرادتي الحرة، يمكن لبعضكم أن يتصور أنني أسفت على الحل الذي تبعته وما تزال تتملكني الرغبة بالعودة إلى الجزائر، فأقول إن هذا لن يحدث ويمكنني أن أعد الآن من بين

[1] دوماس: لواء وكاتب ولد في سبتمبر 1803م، والتحق بالجيش كمتطوع في سنة 1822م، وفي 1835 قدم إلى الجزائر بأوامر من الجنرال كلوزيل وقام بحملتي معسكر وتلمسان، وعينه الماريشال بيجو مسؤولا عن السكان الأصليين في جميع أنحاء الجزائر. ينظر: (Narcisse faucon, opcit, p321)

[2] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص263.

الأموات، ورغبتي الوحيدة أن يسمح لي بالذهاب إلى مكة أو إلى المدينة لأنصرف إلى الصلاة هناك والتعبد إلى الله إلى أن يأخذني إلى جواره"،[1] وكانت جميع الدلائل تدل على أن قضية تحرير الأمير عبد القادر قد اجلت إلى ما لانهاية له وهو نفسه توقف عن الإشارة إليها.[2]

[1] برونو إيتين، المرجع السابق، ص252.

[2] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص264.

المبحث الثاني: المواقف الإقليمية و الدولية من الوضع في الجزائر على عهد الجنرال بيجو:

1- موقف المغرب:

حرص الأمير عبد القادر على توثيق الصلة مع المغرب حيث كان في ذلك متأثرا بروابط المصلحة المشتركة والاحترام الذي يكنه للسلطان مولاي عبد الرحمن، وقد سعى من خلال علاقته هذه إلى تكوين جبهة موحده لمواجهة الغزو الفرنسي ولم يتأثر بالموقف المتحفظ للسلطان من عقده معاهدة التافنة مع الفرنسيين ومن محاولة رجال المخزن المغربي التشهير بها، واعتبارها تحالف بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو، فقد تعاونت السلطات المغربية وعلى رأسها السلطان "عبد الرحمن" مع الأمير زمنا فزودته بالأسلحة والذخائر والأموال وسمحت له بنقل الأسلحة من جبل طارق إلى الجزائر عبر الأراضي المغربية، كما سمحت للمجاهدين بالاحتماء بها دون إغفال تبرعات الشعب المغربي للمجاهدين، وفي إطار سياسة السلطان عبد الرحمن الهادفة إلى الحد من تعاظم نفوذ الأمير على الساحة الدولية وجه له وصية عند استقباله بفاس 1837م يحثه فيها على استئناف الجهاد ونقض المعاهدة مع الفرنسيين.[1]

لكن السلطان لم يلبث أن شرع منذ 1842م بالتضييق على الأمير حيث أصدر ظهيرا يمنع المغاربة من إقامة أي علاقات ودية مع الجزائريين، فأخذت السلطات المغربية تستولي بناءا على ذلك القرار على شحنات الأسلحة الموجهة إلى الأمير، كما حاول السلطان بعد ذلك استدراج الأمير إلى فاس للقضاء عليه لكن الأمير تفطن لذلك ولم يستجب لدعوته،[2] وعندما اضطرته الظروف إلى اللجوء للمغرب في 1843م أصبح الاصطدام حتميا بين المخزن المغربي ودائرة الأمير عبد القادر نتيجة التهديدات الفرنسية للمغرب والتي وصلت إلى حد قصف مدينتي موغادور وطنجة وإلحاق الهزيمة بجيش السلطان في معركة أيسلي 14 أوت 1844م، الأمر الذي اضطر معه السلطان إلى إبرام معاهدة طنجة 10 سبتمبر 1844م مع الفرنسيين التزم بموجبها ملاحقة الأمير لطرده أو إلقاء القبض عليه، وتأكدت القطيعة بين الأمير والسلطان المغرب بفعل معاهدة لا لا مغنية 18 مارس 1845م التي حددت الحدود واعتبر الأمير بموجبها خارجا عن القانون، وقد نتج عن ذلك كما سبقت الإشارة اشتباكات دامية بين الطرفين منذ شهر أوت وحتى منتصف شهر ديسمبر 1847م، وأثناء ذلك لم يجد الأمير ما يوضح موقفه من تصرفات سلطان المغرب فراسل علماء مصر في ذلك

[1] ناصر الدين سعدوني، المرجع السابق، ص 224.

[2] بن عمارة زوينة، المرجع السابق، ص 1026.

معددا لهم المظالم التي لحقته من سلطان عبد الرحمن، منها أنه قد أمد النصارى الكفار بالحيوانات التي كانوا في حاجة اليها لتغذية جنودهم وأنه حرمه منها مع أن المجاهدين كانوا في أشد الحاجة إليها مده ثلاث سنوات كما أعلم الأمير علماء مصر أيضا بأن السلطان قد احتجز 1500 بندقية كان عامله قد اشتراها من الإنجليز لتجهيز المجاهدين وأخذ منه 400 بدلة كان وكيله قد حصل عليها من أجل المجاهدين بالجزائر، بالإضافة إلى أنه منع رعاياه منم التجنيد في صفوف المجاهدين لمحاربة فرنسا فكانت هذه الطعنة في الظهر من طرف السلطان عبد الرحمن من أهم الأسباب التي دفعت الأمير لوضع السلاح.[1]

2-موقف الدولة العثمانية:

تخاذلت الدولة العثمانية أمام العدوان الفرنسي على الشعب الجزائري الذي حكمته واستغلته قرونا طويلة، واكتفت بتأييد تابعها أحمد باي تأييدا نظريا ثم تخلت عنه بعد سقوط قسنطينة في 1837م، لذلك لم يكن متوقعا أن تدعم الأمير عبد القادر فقد كانت الدولة العثمانية تعتبر الأمير عبد القادر مجرد فرد من رعاياه ولم تعترف بدولته التي اعتبرتها غير شرعية، لأن ذلك في نظر العثمانيين كان عائقا أمام الاتصالات الدبلوماسية التي يجريها المبعوثين العثمانيين مع فرنسا للوصول إلى حل يضمن حقوق السلطان العثماني في الجزائر وعارضت معاهدتي ديميشال والتافنة وامتنعت عن تلبية دعوة الأمير لها بدعمه ضد فرنسا مع دخوله في طاعتها.[2]

وبالرغم من ذلك فقد سعى الأمير عبد القادر إلى تجاوز تخوفات الدولة العثمانية والعمل لتقوية موقفه فكتب إلى السلطان عبد المجيد رسالة مؤخرة في 10 ديسمبر 1841م لشرح موقفه ذكر فيها: "أنه لما رأى الكافر منا تلك القوة والحدة واحتال في حل عزائمنا بطلب الصلح مدة فأجبناه لذلك على شروط علو الإسلام فيها ظاهر مضبوط"، وهذا فيما يخص معاهدة ديميشال مع الفرنسيين التي انزعج منها الممثلين العثمانيين فاعتبرها عملا ضروريا في صالح المسلمين، أما بالنسبة لمعاهدة التافنة فإن الأمير أرجعها في رسالته هذه إلى رغبة الفرنسيين وحاجته إلى الاستعداد ولمواجهتهم وقد جاء ذلك بهذه العبارة: "لما رأى عدو الله (الفرنسيون) ما بلغه من المشقة وما لحقهم من الحصار والقتال، طلب الصلح من المسلمين على مال يدفعه

[1] ناصر الدين سعدوني، مرجع السابق، ص 225.

[2] بشير بلاح، المرجع السابق، ص 96.

للمجاهدين فأجبناه أن نستريح لمثلها ونستعد بالسلاح لنيلها، وجعل الله في ذلك للمسلمين صلاحا ولأمور الدين نجاحا".[1]

وقد اكتفى السلطان بأن رد عليه برسالة من سبعة أسطر فحسب حثه فيها على مواصلة الجهاد دون وعد بتقديم المساعدة والدعم، وانتهى الهوان بالدولة العثمانية في الأخير إلى التسليم بضياع الجزائر حينما أهملت ذكرها في جدول الولايات العثمانية في أول حولية تنشرها سنه 1847م وبذلك ودع السلطان حقه بالجزائر نهائيا.[2]

3- موقف بريطانيا:

كانت بريطانيا الدولة البحرية والاستعمارية الأولى، فخشيت أن يهدد الغزو تفوقها ومصالحها في حوض البحر المتوسط فعارضته واحتجت عليه، لكن سياستها بهذا الخصوص تميزت بالميوعة والإنتهازية، إذ لم تشأ الإخلال بعلاقتها بفرنسا بسبب الجزائر،[3] وفضلت ترقب نتيجة الصراع لاتخاذ موقف حاسم فقد حاولت بريطانيا لعب ورقة الأمير عبد القادر بأن تركت بعض قنوات اتصال بينهما وغضت الطرف عن سماح حاكم جبل طارق البريطاني للأمير باستيراد السلاح عن طريق الجبل بحيث تعترف به وتتعاون معه اذا ما انتصر وتمكن من بسط سلطته على الجزائر أو تنبذه وتعترف بالاحتلال اعترافا مشروطا حالما تتحقق من هزيمته وتمكن فرنسا من ترسيخ وجودها بالجزائر، فلا تتورط بذلك في مواقف تفرض عليها التزامات لا تريدها، وقد حث الأمير بريطانيا على الاعتراف به وإقامة علاقات تجارية ثنائية مقابلة منحها أحد الموانئ الجزائرية وكتب رسالتين بهذا الشأن إحداهما إلى ويليام الرابع ملك إنجلترا بتاريخ 22 سبتمبر 1835م والثانية إلى قنصل بريطانيا بطنجة تحمل نفس التاريخ لكن دون جدوى[4].

سارعت بريطانيا بعد سقوط قسنطينة إلى الاعتراف سرا في نوفمبر 1837م بالوجود الفرنسي بالجزائر مقابل التزام فرنسا بعدم المساس باستقلال تونس والمغرب، وجدد الأمير الذي كان متعلقا بأمل أن بريطانيا ستدخل في منافسة سياسية أو حتى اقتصادية مع فرنسا في الجزائر، ولم يكن على علم بتحول موقفها فجدد

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 223.
[2] بشير بلاح، المرجع السابق، ص 96.
[3] بشير بلاح، المرجع نفسه، ص 59.
[4] بن عمارة زوينة، المرجع السابق، ص 1026.

المحاولة برسالتين آخرين أرسل الأولى إلى الحكومة البريطانية بواسطة قنصلها في طنجة بتاريخ 12 أفريل 1840م يعرض فيها إقامة علاقات تجارية مع مملكته، والثانية إلى رئيس وزرائها في 11 ديسمبر يعرض فيها عقد محالفة معه دون جدوى.[1]

ذلك أن بريطانيا التي كانت تراقب تحول ميزان القوى لصالح الفرنسيين الذين تمكنوا من تحقيق مكاسب هامة في حربهم ضد الأمير، قدرت أن مسالة الجزائر قد حسمت فاتخذت موقفا مناوئا للأمير فقد قامت في 1842م بحث كل من السلطات العثمانية على عدم مد يد المساعدة إلى الأمير والسلطات المغربية على الكف عن دعم المقاومة الجزائرية وأخطرت السلطات المغربية في السنة الموالية بأنها لا يمكنها الاعتماد على دعمها في حالة اندلاع نزاع بينها وبين فرنسا، لأنها كانت تخشى أن يؤدي التوتر بين المغرب وفرنسا إلى نشوب نزاع مسلح بين الدولتين يضطرها إلى التدخل العسكري لردع فرنسا وهو ما لم تكن تنويه، أو احتمال التضحية بمصالحها الإستراتيجية والتجارية الهامة بالمغرب وغربي البحر المتوسط، وذلك ما كانت تحرص على عدم حدوثه بأي ثمن وقد استجابت المغرب والدولة العثمانية لتلك المطالب، وبذلك أثبتت بريطانيا أن المصالح وحدها هي التي توجه سياستها الخارجية.[2]

[1] بشير بلاح، المرجع السابق، ص 97.

[2] بشير بلاح، المرجع نفسه، ص 98.

المبحث الثالث: نهاية حكمه في الجزائر

حدثت تطورات خطيرة على ساحة الصراع المسلح في الجزائر، ولم تكن هذه التطورات، في مصلحة المستعمر الفرنسي، فقد دارت معركة في سيدي إبراهيم أباد فيها، المجاهدون في حملة فرنسا يوم 23 سبتمبر 1845 وكانت هذه الحملة تضم 316 مقاتلا، لم ينجحوا منها إلا 5 وقعو في الأسر ففي 27 سبتمبر توجهت جملة من 200 ضابط وجندي نمو الشرق بمهمة دعم حامية تموشنت.

ولما وصلت هذه القوة إلى سيدي موسى وجدت نفسها مطوقة بقوات عربية، فعملت على إلقاء أسلحتها والإستسلام من غير مقاومة الأمر الذي حمل لاموريسيار على الكتابة يوم 30 سبتمبر بما يلي: "لقد أصبح الأمير عبد القادر اللآن سيد البلاد التي تمتد بين الحدود الشمالية وأعالي نهر التافنة، إنه نجاح هائل له، وأنا أشعر أنني عاجز على وضع العوائق أمام زحفه"، تفاقم التهديد الذي يواجهه الفرنسيون على الحدود المغربية.[1]

كان بيجو يستريح في بلدته حينما استدعاه وزير الحربية، وطلب منه السفر لإعادة الأمور إلى نصابها، ولما نهض لتلبية النداء، صرح بما عرف عنه من التواضع وإنكار الذات بأنه كان على دقة أنه لا غنى عنه لإسترجاع زمام الأمور، وسافر يوم 13 أكتوبر 1845، وكان أول مافعله هو توجيه التوبيخ إلى لاموريسيار وكافينياك لعدم تطبيقهما أوامره، حيث قدم إلى الجزائر بجيش يضم 106.000مقاتل من ضابط وجندي، وكان هذا الجيش الذي حمل إسم جيش إفريقيا، قد بات مجهزا بأحدث الأسلحة وإكتسب خبرة واسعة بقتال العرب، وتوافرت له معرفة جيدة بالأرض هذه القوات التي يحتاج بيجو إليها من أجل تنفيذ المهمة الذي حددها له وزير الحربية الفرنسي.

بدأ بيجو عملياته كما هي عادته بالإنذار والوعيد في بلاغات للقبائل بإنه سينزل بهم الويل، وضع نظاما محكما للقمع والتدمير والإبادة بهدف القضاء نهائيا على الثورة، كان الماريشال بيجو طوال سنوات عديدة يحارب عدو منظم الصفوف مطاعا في قومه وينتهج أساليب في القتال، والسياسة تمتزج فيها بنسب دقيقة الروح الدينية والوطنية بالعقلانية.

كما أن الأرتال الفرنسية كانت تعمل تحت قيادة كبار ضباط فرنسا كل ما تستطيعه من الجهد طوال سنة 1846م، بهدف إخماد المقاومة غير أنها عجزت، كانت القوات الفرنسية مع بداية سنة 1847م تجوب أطراف الصحراء بحثا عن المقاومة، وفي فيفري 1847م قصد إبن سالم آخر خلفاء الأمير عبد القادر الذين كانو يحتفظون بقيادتهم في الجزائر إلى سور الغزلان وطلب الأمان، وفي 10 أفريل قصد الزعيم القبائلي وعدد من زعماء المقاومة أدرك بيجو أن دوره قد انتهى فعمليات القمع التي بلغت مداها والمقاومات المتفرقة قد إنتهى أجلها وشعر أن منكبيه

[1] بسام عسلي، الماريشال بيجو...، المرجع السابق، ص100.

قد وهنا لما حملاه من أعباء السنين ولما أثقلهما من أعمال القتل والتدمير، كما سئم من هجمات المعارضة في مجلس النواب، ومن الصحافة التي ما إنفكت تطارده بتعليقاتها وإنتقاداتها، ثم مابقي ليكسبه في الجزائر؟ المجد العسكري أم النفوذ الجزائري أم اللقب الأستقراطي؟، لقد كسبها كلها وأما حفلات إزاحة الستائر عن تماثيله التي ستقام في الجزائر على عادة الرومان، ففضل أن يترك هذه المهمة لغيره، وهكذا طلب بيجو إعفاءه من أعماله (الحاكم العام في الجزائر والقائد الأعلى لجيش إفريقيا)، وعين مكانه نجل الملك لويس فيليس الدوق دومال.[1]

كان كل شيء يقف أمام الوصول إلى هدفه فكان لزاما عليه أن يزيله مهما كان الثمن، ثم عاد بعدها إلى فرنسا ليصاب بالكوليرا في 06 جوان 1849م ليموت بها بعد ثلاث أيام.[2]

[1] بسام عسلي، الماريشال بيجو...، المرجع السابق ص101

[2] Duc D'isly, Op-cit, p33.

خاتمة:

بعد الإطلاع على مجموعة من المصادر والمراجع التي خدمت بحثنا، وبعد معالجتنا لهذا الموضوع من عدة جوانب توصلنا إلى جملة من الإستنتاجات، يمكن إستعراضها فيما يلي:

- عملت الحكومة الفرنسية على إستبدال الجنرالات الفرنسيين في قيادة الجيش الفرنسي وذلك لتوسيع الإستعمار والقضاء على المقاومة، بحيث أصبحت مستعمرة الجزائر مختبرا لنظريات قادة الحرب الفرنسيين، فكلما سقط قائد أرسلت فرنسا بديلا له أكثر خبثا وأعمق حقدا وأكبر لؤما.

– مع مجيئ بيجو، اتبع سياسة الإحتلال الكلي بعد فشل سياسة الإحتلال الجزئي التي اتبعتها فرنسا حتى 1838، كانت مهمته القضاء على دولة الأمير عبد القادر وتوسيع دائرة الاستيطان.

– اعتبر الجنرال بيجو من أكثر الضباط الفرنسيين تحمسا لسياسة الاستعمار والاستيطان والتوغل بالاستعمار في الجزائر، حيث اعتمد على جميع الأساليب والطرق بغية تكريس الهيمنة الفرنسية على الجزائر أرضا وشعبا.

– عاشت الجزائر العديد من المقاومات الشعبية الثائرة ضد الظلم والقهر ومثال على ذلك مقاومة أحمد باي في الشرق ومقاومة الأمير عبد القادر في الغرب، وهو ما أثار خوفها فكان رد فعلها عنيفا جدا حيث ضاعفت العقوبات المسلطة على الثائرين وترتب عنها أعمال تعسفية كالإبعاد والتهجير والحكم بالإعدام والنفي.

– شهدت فترة بيجو العديد من القرارات المتعلقة بإدارة وشؤون الجزائريين فأعلنوا مرسوما في 1844، والذي نص على إنشاء المكاتب العربية التي سخرت الأهالي لخدمة مصالحها بألقاب إغرائية والتي كانت مهامها التخلص تدريجيا من النزاعات الأهلية وتجسيد الإدارة المباشرة، حيث قامت الإدارة الإستعمارية بالجزائر باصدار عدة قوانين وتشريعات وقرارات من أجل تفكيك الروابط الإجتماعية والبنيات القبلية القديمة والقضاء على تماسك المجتمع الجزائري.

– أدت سياسة الأرض المحروقة التي انتهجها الحاكم العام بيجو إلى سلب الجزائريين أراضيهم وتسليمها للمستعمرين، فأخذوا الأملاك العامة والخاصة دون أي تعويض، ولضمان تعمير هذه الأراضي قامت السلطات الفرنسية بتشجيع الهجرة الأوربية نحو الجزائر مع منح المستوطنين كل الامتيازات الضرورية وبذلك تعاظمت قوتهم على حساب الأهالي فقد قام الجنرال بيجو بتحويل الضباط الجنود إلى فلاحين ومزارعين وأقام لهم مستوطنات عسكرية ومنحهم ملكية الأرض الصالحة للزراعة بواسطة العديد من القوانين والمراسيم مثل قانون 01 أكتوبر 1844م و21 جويلية 1846، التي تخدم الأوروبيين لضمان بقائهم في الجزائر.

– دفعت مجمل الإجراءات القانونية وأنماط التسيير الإداري بالجزائر إلى خلق أوضاع إجتماعية جديدة وأنماط إقتصادية، أثرت على التقاليد الاجتماعية والعلاقات الإقتصادية خصوصا بعد أن تم التحول الكبير في نمط معيشة السكان الأساسي وهو تربية المواشي والإهتمام بالزراعات المحلية والتربة، فتم تحويلها للمستوطنين الذين أهملوا الزراعة كالقمح والشعير وركزوا على المزروعات الصناعية، ومضايقة الفلاحين في الأراضي وكل من يمارس رعي الأغنام وفرض ضرائب عليهم .

– انتهج بيجو أبشع أنواع العنف والتعذيب والإبادة الجماعية للقبائل في شتى أنحاء المستعمرة وهذا ما أرهق الجزائريين ودفع بأغلبهم إلى الهجرة، الأمر الذي أدى إلى تراجع المقاومة.

– ساهم تحالف السلطان المغربي مع الاحتلال الفرنسي في القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر.

– يظل الإستعمار في جوهره هو احتلال الأرض واستغلال خيرات الشعوب مهما كان أسلوبه وزمنه، لكن المتغير هو إيجاد الذرائع والمبررات التي تصيغ له ارتكاب هذه الجريمة.

الـمـلاحـق

الملحق رقم 01:

رسالة بين الجنرال فالي وأحمد باي[1]

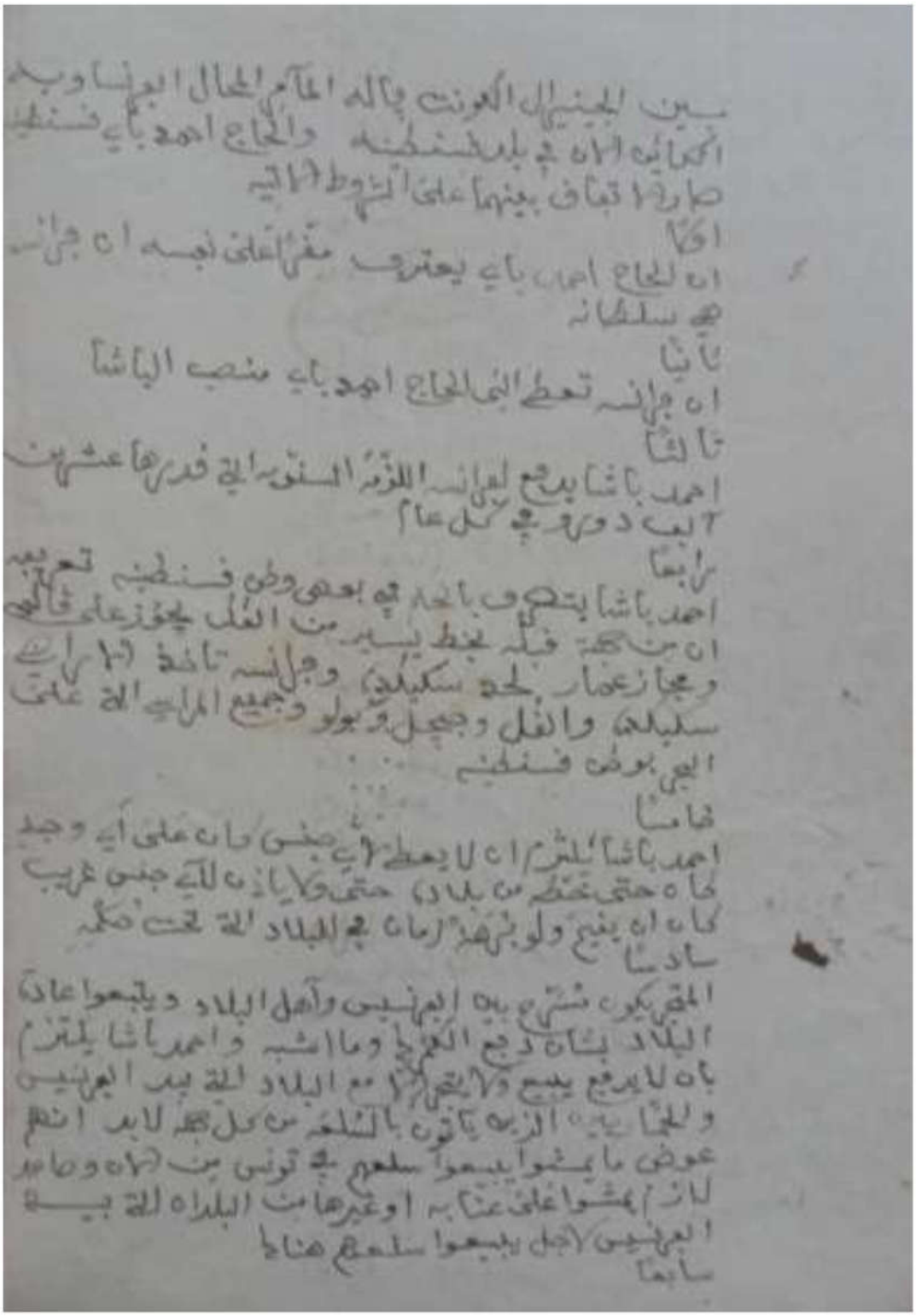

[1] توفيق دحماني، المرجع السابق، ص148.

الملحق رقم 02:

صورة بيجو[1]

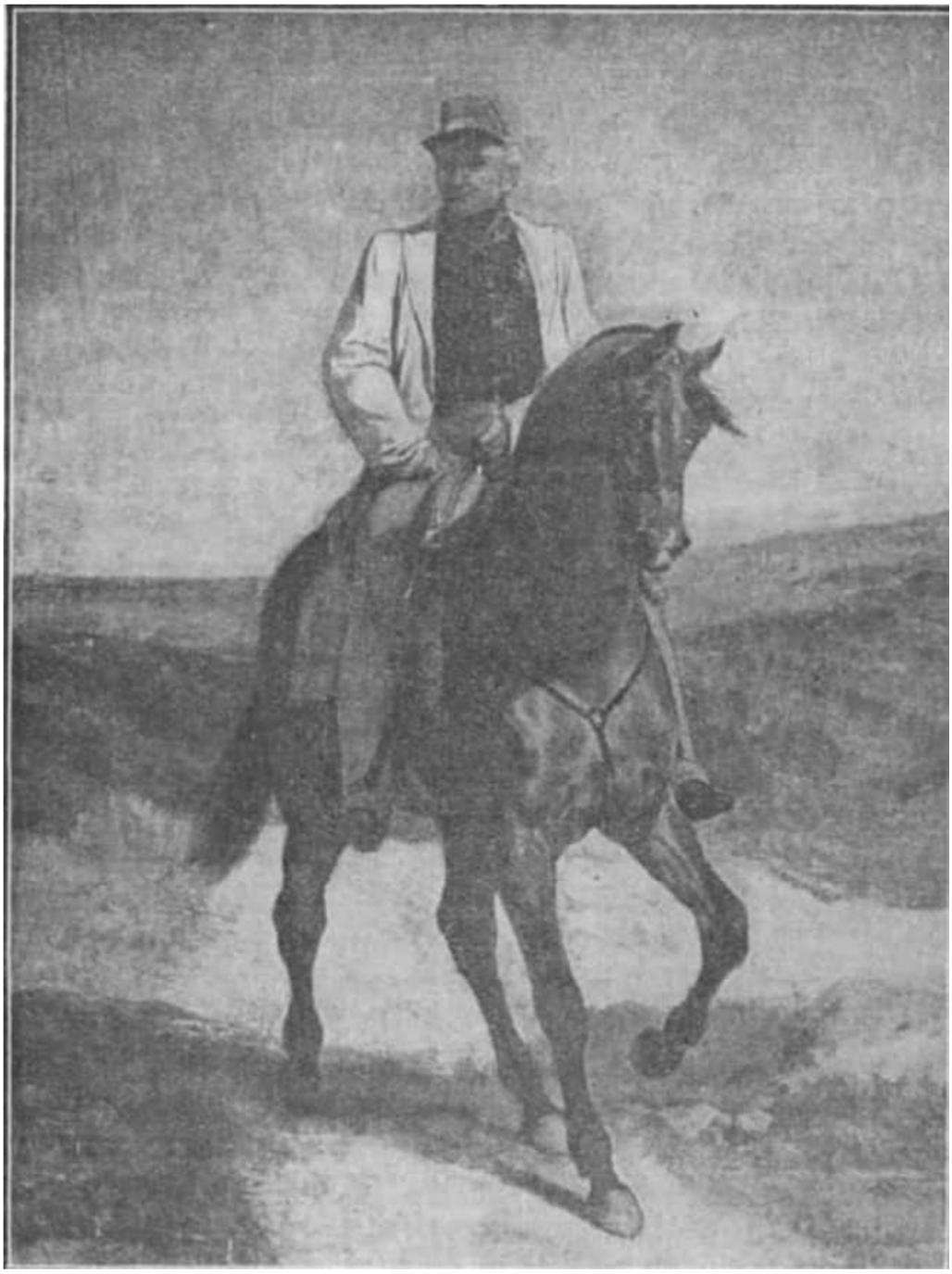

[1] Paul Azan, Op-cite, P65.

الملحق رقم 03

L’indipandant De La Moselle جريدة

7e ANNEE. — N° 975. LIBERTÉ, ORDRE PUBLIC. Lundi 20 Février 1837.

Ce Journal paraît le Lundi, le Mercredi et le Vendredi. PRIX : 24 f. pour l'année; 12 fr. pour 6 mois; 6 fr. pour 3 mois franc de port. Toute d'avis adressé, les abonnemens cessent de continuer de plein droit.—Insertions des Annonces : 15 c. par ligne; au-dessous de 5 lignes, 75 centimes.

L'INDÉPENDANT DE LA MOSELLE.

Nationnal français, à Metz, chez M. Gerson-Lévy, libraire, rue des Jardins, n° 14; à Paris, au bureau général de correspondance des journaux constitutionnels, chez M. Lassailly, rue St-Pierre-Montmartre, 12, et à l'Office-Correspondance de MM. Legallois, Bourgoin et Cie, rue Notre-Dame-des-Victoires, 18.

Metz, le 20 Février 1837.

TRAVAUX DES CHAMBRES.

PROPOSITION DE M. PAIXHANS.

Les travaux législatifs n'ont pas beaucoup avancé dans le courant de la session dernière. La maladie cruelle d'une part, une grande et légitime douleur de l'autre, ont forcé la chambre des députés à une suspension momentanée de ses discussions. Une seule loi a été votée, c'est celle qui accorde un crédit supplémentaire de 150,000 fr. au gouvernement, pour augmenter la surveillance sur les frontières d'Espagne; nonobstant l'opposition assez vive de MM. Mauguin et Degabé, cette loi a été adoptée à une majorité de 227 voix contre 44.

M. Mauguin a prétendu que les 150,000 fr. que la France va dépenser sur la frontière espagnole, auraient pour effet unique d'augmenter les dépenses du prétendant dans la proportion de 4 sur 19, c'est-à-dire que le redoublement de surveillance que le nouveau crédit met le gouvernement en état d'exercer, fera payer à don Carlos quatorze millions, ce qu'il paie actuellement dix millions. Dans la situation financière du prétendant, ce résultat ne nous semble pas suffisant à éloigner que M. Mauguin paraît le craindre: on peut surtout être persuadé que M. Mauguin n'a pas exagéré l'effet probable des nouvelles mesures contre le prétendant.

Après le vote du crédit demandé, l'ordre du jour appelait la discussion de la proposition de M. le colonel Paixhans, relative à l'abolition d'une partie des servitudes militaires. M. le ministre de la guerre, qui est officier du génie, a demandé l'ajournement de la discussion, en motivant sa demande sur la prochaine présentation d'un projet de loi plus complet que celui de M. Paixhans, que M. le ministre de la guerre trouve insuffisant. M. le colonel Paixhans a énergiquement combattu cette fin de non recevoir, tout en reconnaissant qu'il avait pu ne pas tout prévoir, il a fortement insisté pour la discussion, qui seule peut révéler les avantages et les inconvéniens de sa proposition. Après un assez long débat, auquel est pris part M. le ministre de la guerre, et M. Vivien, pour l'ajournement; et MM. Paixhans et Clausonnette pour la discussion immédiate, l'ajournement a été prononcé à une très-grande majorité; cependant nous avons lieu d'espérer que le projet de notre honorable mandataire ne restera pas sans application. Nous reviendrons sur cet objet dans notre prochain n°.

M. LE MARÉCHAL CLAUSEL.

M. Le maréchal Clau-el perd son gouvernement d'Afrique; mais il gagne les bonnes grâces de l'opposition. Nous ne serions nullement étonné qu'ainsi à huit jours la dernière expédition de Constantine serait considérée comme l'œuvre d'un grand capitaine. L'opposition a bien failli contre l'incroyable incurie, le désordre affreux, l'imprévoyance coupable qui ont présidé aux préparatifs de l'expédition, mais elle revendra sur tout cela et nous verrons incessamment le maréchal Clausel considéré comme une victime de l'impéritie et des exigences du pouvoir. L'opposition n'est pas assez riche en hommes imposans, pour négliger d'attirer à elle un homme comme le maréchal, et nous ne pensons pas que ce dernier ait grande violence à faire à ses sympathies pour se rendre à cet appel.

Ce sera un triste spectacle que celui d'une grande gloire militaire, qu'une seule faute n'a pu ternir, cherchant un appui auprès des avocats de l'opposition. Cette attitude compromettrait beaucoup plus M. Clausel que ne l'a fait la déplorable issue de l'expédition de Constantine.

Le successeur de M. le maréchal Clausel, M. le lieutenant-général Damrémont, commandait à Marseille lors de l'apparition de Carlo-Alberto. Il a fait partie de la première expédition d'Afrique. Au moment de sa nomination, il commandait la 8e division militaire.

M. le baron de Ladoucette, député du département de la Moselle, a été nommé par le 7e bureau membre de la commission chargée de l'examen de plusieurs projets de loi d'intérêt local.

On a observé, avant-hier à 11 heures 7 minutes du soir, l'occultation de la planète Mars par la lune, c'est-à-dire le passage de cette planète derrière le satellite de la terre, et sa réapparition après une heure huit minutes.

Cour d'assises de la Moselle.

PRÉSIDENCE DE M. DELTHEIL.

Ainsi que nous l'avons annoncé dans l'un de nos derniers numéros, la session qui s'est ouverte le lundi, 13 de ce mois, a été terminée le vendredi suivant, à sept heures du soir; nous allons rendre compte des dix affaires qui ont été jugées, et de leur résultat.

Audience du 13 février.

Le nommé Joseph Lefort, ouvrier jardinier, demeurant en la commune de Devant-les-Ponts, comparaissait sous l'accusation de soustraction frauduleuse de plusieurs livres de sciences de vers et d'oignons et de quelques crochets de vin, au préjudice du sieur Bordot, débitant de vin à Metz, avec la circonstance qu'à l'époque de ces vols, Lefort était homme de service à gages dudit sieur Bordot. Sur la réponse affirmative du jury, qui a néanmoins déclaré les circonstances atténuantes motivées sans doute sur la bonne conduite antérieure de l'accusé et le peu de valeur des objets soustraits, Joseph Lefort a été condamné à une année d'emprisonnement.

Une accusation de même nature amenait ensuite devant la cour, le nommé Charles Kœhler, âgé de 44 ans, originaire du Hanovre, ouvrier chez le sieur Pichon, tapissier à Metz. La lecture de l'acte d'accusation fait connaître que depuis long-temps le sieur Pichon remarquait que différentes marchandises disparaissaient de ses ateliers, sans qu'il pût arrêter ses soupçons sur aucun de ses ouvriers qui lui inspirassent tous de la confiance; dans le courant du mois de décembre dernier, on vint l'avertir qu'un paquet contenant différens objets avait été placé à l'entrée de son magasin; ayant fait surveiller les lieux, on surprit Charles Kœhler au moment où il enlevait ce paquet. Une visite ayant été faite dans le domicile de cet ouvrier, on y trouva une grande quantité de marchandises telles

FEUILLETON.

LA POUILLETTE ET LA MARMITTE DE LA MÈRE GODARD.

(SCÈNE D'ATELIER.)

Savez-vous ce que c'est qu'un *atelier*? C'est un sanctuaire où tout profane trouve, en y entrant, une horrible épouvante ou une *épouge* inédite d'eau. L'artiste, c'est un *gouffre-mer* inconnu en révérant Hollande, comme en témoignent Callot, Hogarth et Charlet réunis; c'est un chaos à faire peur, un désordre à faire pitié. L'atelier, c'est le poème et le monde de l'artiste; c'est vous mêmes à lui! Voyez: dessins, gravures, pâtres et esquisses confusément répandus sur le plancher, sale, délabré, froissé, tremblant littéralement le jet des portes, et puis des meubles gothiques, des tentures à fleurs et à ramages jaunes, verts, rouges, blancs de toutes couleurs, en lust, en soie, en coton et en soie; des *épées* à deux mains, des *épées* de tournoi, des *épées* de siège, des dagues, des poignards, des cuirasses et des casques de mailles, des gants, des masques, des fleurets; le tout rouge, brûlé et roulé, à le tout tout à voir à ne le tout bon à rien, à comme l'a dit un de nos romanciers les plus spirituels.

N'est-ce pas que ce spectacle étrange vous rendrait sombre et rêveur?

Mais ne n'est pas tout; les êtres humains qui peuplent ces demeures sont encore bien plus étranges que ce que nous venons de décrire.

Vous qui croyez vous donner une leçon d'enseignement d'artistique dans le silence et dans le recueillement, suivez-moi, je vous prie, dans quelque atelier de la rue de l'Ouest; montez cet étroit escalier; traversez le bouton de cette porte et demandez-vous la permission d'entrer. Ne faites pas attention au vernis gras qui, par magarde, est tombé dans votre chapeau, et entrez toujours.

Tenez, voyez les uns chanter, en s'accompagnant d'un piano ou d'une guitare, les nouveaux morceaux de Meyerbeer ou de Rossini; les autres soutenir de leur ou pétulante quelques notes de Duprez sur le cornet à pistons; ceux-ci répéter le chœur des nonnes de *Robert le Diable*, ou le cantabile de *Robert Macaire*, ceux-là faire des armes ou offrent le pose du Spartacus des Tuileries et de l'ange du jugement dernier d'Antoine Moine; deux se voir à gauche, ce nouveau phénomène qui consentait l'Europe sur de Chili et le mouvement de Europe; ici, le rapin qui apprend à ses élèves à fumer la pipe et à avaler le Champagne; plus loin un grand brun rêve au volcan, qui envoie des baisers à la jolie petite actrice de Bobino, — la seule qu'il y ait jamais eue. — A cette autre extrémité, les plus farouches de l'atelier, rient aux éclats, parce qu'ils ont tenté marcher de travers d'une pointe sur un fromage à la crème qui passait dans la rue: là-bas, un autre lutte qui se fait faire son portrait en même temps qu'on assure un fait la charge; et enfin, pressant des barbes, des moustaches, des dragonnes, des nez de bêtes, des yeux coupés, des oreilles, du tabac, des verres, des cigarettes, des gravures, des bouteilles sans goulots, des esquisses, des pâtres, des romans, des pipes et des journaux.

D'après toutes ces descriptions, n'allez pas croire que l'atelier soit seulement remarquable par ses milliers d'objets hétéroclites et ses fantaisies bohémiennes; non, il n'y passe aussi des scènes qu'en Longus d'atelier nous nommons chargées, lesquelles sont plus intéressantes cent fois que les comédies, les vaudevilles et les drames qu'on nous donne en ce moment.

C'était ce vingt; je crois; on finissait de déjeuner, et afin de faciliter la digestion, chacun de nous avait fait usage des produits de Mahi et de Cognac, lorsqu'un jeune vaudevilliste, qui fait aujourd'hui des drames en cinq actes accompagnés de tableaux, et qui, à notre époque, était venu voir les amis des amis, proposa de déjeuner une pierre que les magnes avaient passé la veille, afin de faire une charge au propriétaire, à M..., notre ancien, et ses amis artistes.

La proposition adoptée, chacun se mit à l'œuvre, et au bout de quelques minutes la pierre était à son vrai tantaines; à l'idée lumineuse de notre ami le vaudevilliste, et à son instrument.

Quelle fut notre surprise, grand Dieu! lorsque nous vîmes une femme noire et ignoble d'horreur de l'autre côté... et pire nous en vîmes plus tard, qu'un tout chacun duquel sortait une odeur de chou et d'oignon. Un de nous y passa la tête et la retira aussitôt en nous disant:

— Mes amis! mes amis! ravalliez! vous ne savez pas, c'est la cheminée de la mère Godard...

— La cheminée de la mère Godard? s'écria le vaudevilliste.

— Oui, monsieur, et je viens de l'apercevoir, cette chère femme; elle trempe la soupe de son époux.

— Qu'est-ce que ça, la mère Godard? demanda encore le vaudevilliste.

— La mère Godard, c'est notre portière; cette vieille, vous savez bien, qui n'a pas de dents et qui grogne toujours quand on passe la tête dans la cuvette de papier de ce logis, en lui disant très poliment: « Bonjour,

الملحق رقم 04

معاهدة التافنة[1]

المادة الاولى

يعترف الامير عبد القادر بسيادة فرنسا ·

المـــادة 2

تحتفظ فرنسا لنفسها ، فى اقليم وهـران ، بمستغانـم ، ومازغنـان ، ونواحيهما : وهران ، وارزيو ، ومنطقة اخرى محددة كما يـلى : مـن الشرق بنهر المقطع والسباخ التى يجرى فيها ، ومن الجنوب بخط يبدا من السباخ المذكـورة نمـارا بالضفـة الجنـوبيـة للبحيـرة وممتـدا الى وادى المالح فى اتجاه سبدى سعيد ، ومن هذا النهر الى البحـر سيكـون تابعـا للفرنسيين · اما فى اقليم الجزائر فمدينة الجزائر ، والساحـل ، وسهـل متيجـة محـدودا مـن الشرق بـوادى القـدرة (3) فصاعـدا ، ومن الجنوب بقمة السلسلـة الاولى لجبـال الاطـلس الصغـرى ممتـدة الى نهر الشلف بما فى ذلك البليدة ونواحيها ، ومن الغرب بالشفة ، الى جبل مازغنان ، ومنه ، فى خط مستقيم الى البحر ، بما فى ذلك القليعة ونواحيها، سيكون منطقة فرنسية ·

المادة 9

تتخلى فرنسا للامير عن واشقون ، وتلمسان ، وقلعتها . وكل المدافع التى كانت فيها قديما · ويتعهد الامير بنقل كل الامتعة الى وهران ، بالاضافة الى العتاد الحربى ، التابع للحامية (الفرنسية) فى تلمسان ·

المادة 10

التجارة بين العرب والفرنسيين ستكون حـرة · ويمكن لكـل طرف ان يقيم ، مبادلة ، فى منطقة الآخر ·

المادة 11

سيكون الفرنسيون محل احترام بين العرب ، وكذلـك العـرب بيـن الفرنسيين · والاسلحة والاملاك التى اقتناها الفرنسيون ، او التى يمكـن ان يقتنوها ، فى المنطقة العربية ستكون مضمونة لهم ، وسيتصرفـون فـى مقتنياتهم بحرية . ويتعهد الامير بتعويضهم عن اى خسارة قد يسببها العرب لهـــم ·

المادة 12

يعاد المجرمون فى كلا المنطقتين مبادلة ·

المادة 13

يتعهد الامير بعدم تسليم اى جزء من الساحل الى اية دولة اجنبية ، مهما كانت ، دون اذن فرنسا ·

المادة 14

لا تجوز المعاملات التجارية للولاية الا فى الموانى الفرنسية ·

المادة 15

تبقى فرنسا على ممثلين لها لدى الامير ، وفى المدن التى تحت سلطتـه ، لكى يعملوا كوسطاء لصالح الرعايا الفرنسيين ، فى كل الخصومات التجارية التى قد تنجم بينهم وبين العرب · ويتمتع الامير بنفس الامتياز فى المـدن والموانىء الفرنسية ·

التافنة فى 30 ماى . 1837
(ختم الجنرال بوجو تحت النص الفرنسى)
(ختم الامير تحت النص العربى)

[1] هنري تشرتشل، المصدر السابق، ص119.

الملحق رقم 05

مغارة الفراشيش[1]

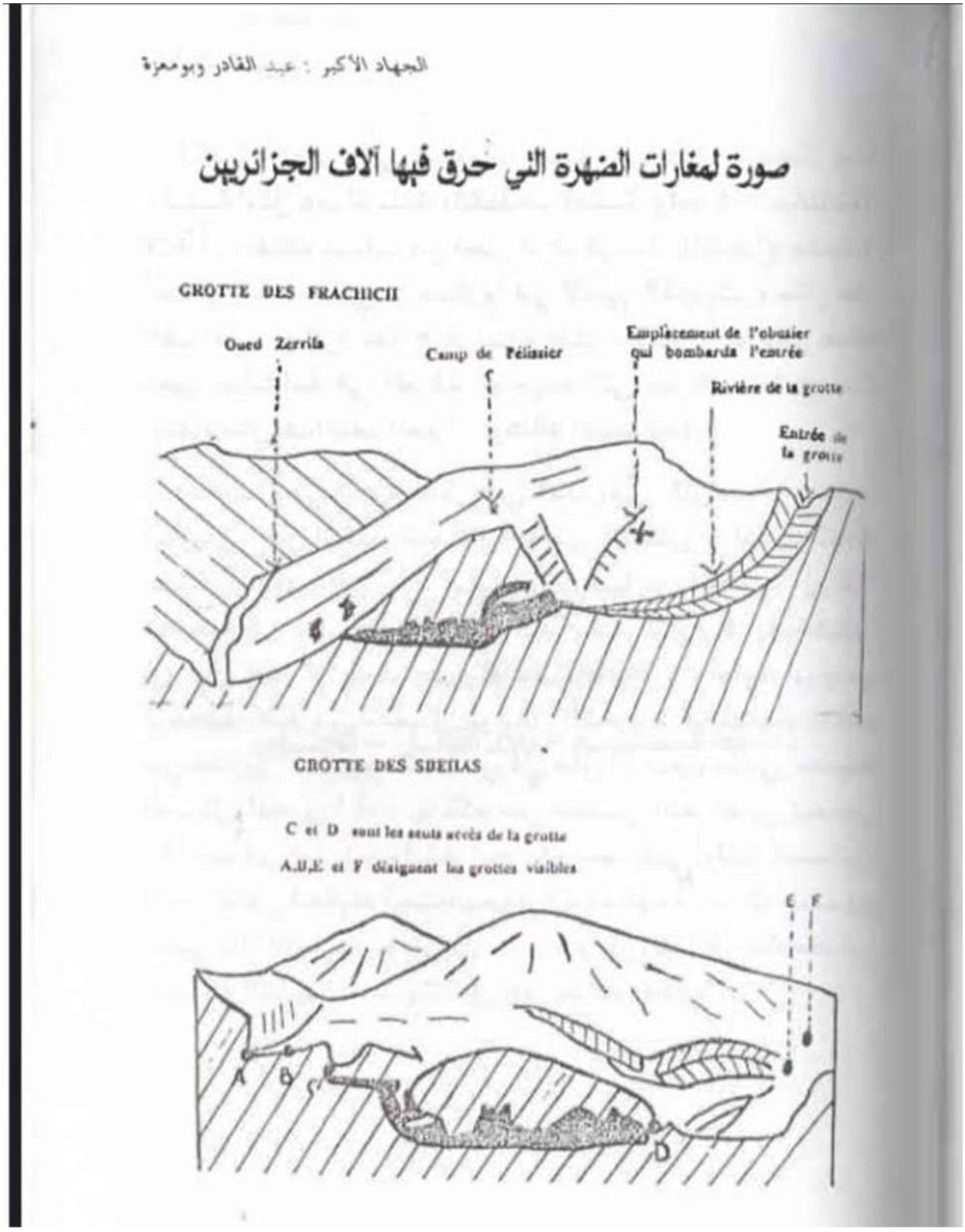

[1] محفوظ قداش، جزائر الجزائريين...، المرجع السابق، ص119.

الملحق رقم 06

صورة عن خطاب بقبول الأمير عبد القادر لعهد الأمان الذي أعطي له عند استسلامه[1]

صورة عن خطاب بقبول الأمير عبد القادر لعهد الأمان الذي أعطي له عند استسلامه

[1] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص360

الملحق رقم 07:

صورة الأمير عبد القادر[1]

[1] دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، دار هومة، دط، 2012، ص01

قائمة البيبليوغرافيا

قائمة البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع :

1. أباظة نزار ، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1994.
2. أجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، بيروت، دار منشورات عويدات، ط1، 1982.
3. أحميدة عميراوي ، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، عين مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2005.
4. اسكوت الكولونيل ، مذكرات الكولونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، تر: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
5. الأشرف مصطفى ، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، الجزائر، دار القصبة للنشر، دط، 2007.
6. أندري جوليان شارل ، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: جمال فاطمي وآخرون، مج1، الجزائر، دار الأمة، 2013.
7. إيتين برونو، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، الجزائر، دار الفارابي، ط2، 2001.
8. بزيان سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.
9. بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، الجزائر، دار المعرفة، 1982.
10. بن صحراوي كمال، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن19، Alpha doc ط1، 2020.
11. بن محمد الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج5، الجزائر، دار الأمة، د.ط، 2010.
12. بوعزيز يحي، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، تونس، الدار العربية للكتاب، 1983.
13. بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1945، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2007.
14. بوغفالة وذان، الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان، الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، دت.
15. تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، دس.
16. خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تق: محمد العربي الزبيري، تص:عبد العزيز بوتفليقة، منشورات Anep، 2005.
17. الدالي محمد بن موسى بن مصطفى ، الوطن والاستيطان دراسة فقهية، مج1، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 2013.

18. دحدوح عبد القادر، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية 1252-1258هـ / 1836-1842م، الجزائر، موفم للنشر، د.ط، 2008.

19. دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، دار هومة، 2012.

20. زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، الجزائر، موفم للنشر، دط، 2010.

21. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية(1830-1900)، ج1، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1.

22. سعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2001، د.ط.

23. عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ج1، المسيلة، المؤلفات للنشر والتوزيع، ط1، 2013.

24. العسلي بسام، الأمير عبدالقادر الجزائري، بيروت، دار النفائس، ط3، 1986.

25. العسلي بسام، الماريشال بيجو 1784- 1849، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1982.

26. عيساوي محمد، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830-1871م)، الجزائر، مؤسسة شطيبي للنشر والتوزيع، دت.

27. فركوس صالح، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، 1830-1925م، قالمة، مديرية النشر لجامعة قالمة، دط، 2010.

28. قداش محفوظ، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954، تر: محمد المعراجي، الأكاديمية الجزائرية للمصادر التاريخية، منشورات ANEP، دط، 2008.

29. المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990.

قائمة المجلات:

30. مختاري آمحمد، تداعيات التتشريعات الفرنسية على الحياة الاجتماعية في الجزائر مرحلة الحكم العسكري-الاستيطان الفرنسي في تيارت أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية في شمال إفريقيا، المجلد05، العدد 02، 2022.

31. بكاي لخضر، تازا حصن الأمير عبد القادر، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المجلد02، العدد04، 2017.

32. بلعربي نور الدين، معركة إيسلي وانعكاساتها على المغرب الأقصى ومقاومة الأمير، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد05، العدد12، 2017.

33. بن حميمد فتحية، الحملة العسكرية الفرنسية بقيادة كلوزيل على معسكر 1835،قراءة في الحيثيات والنتائج، مجلة الدراسات التاريخية، العدد22،جامعة ابن باديس مستغانم.

34. بودن غانم، من سياسة الإبادة الفرنسية محرقة الفرانسيش 19 جوان 1845، مجلة الخلدونية، المجلد09، العدد01، 2016.

35. بويحياوي عز الدين، حصن تازا أو برج الأمير عبد القادر معطيات أثرية وتاريخية جديدة، مجلة أفكار وأفاق، المجلد03، العدد04، 2013.

36. حمامي عز الدين، فشل القوات الفرنسية بقيادة الماريشال كلوزيل في احتلال مدينة بليدة –قراءة وثيقة مترجمة– مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد01، العدد02، 2019.

37. دحماني توفيق، قسنطينة عشية الاحتلال الفرنسي 1837م من خلال وثائق نادرة، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد11، العدد01، 2010.

38. رزيق محمد، تاريخ الأمير عبد القادر، قراءة جديدة في معاهدة التافنة 1837، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، المجلد05، العدد02، 2014.

39. سبتي محمد، مقاومة الأمير عبد القادر من خلال رسائل المرشال سانت أرنو (1837–1844)، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد04، العدد 01، 2022.

40. سلاماني عبد القاد ، جرائم الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري منطقة معسكر أنموذجا "1830–1847م"، مجلة الأدب والحضارة الإسلامية، المجلد12، العدد25، 2020.

41. سلاماني عبد القادر ، سياسة الأرض المحروقة أثرها على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر 1830–1847م، مجلة دراسات، المجلد07، العدد 03، 2018.

42. شويتام أرزقي ، سياسة الاستيطان الرسمي في الجزائر (1830–1914)، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد2، العدد2، 2020.

43. صالحي توفيق، نشأة المراكز الاستيطانية الأوربية بإقليم سكيكدة بين سنتي 1838–1870م، المجلة التاريخية الجزائرية المجلد06، العدد01، 2022.

44. طعبة حورية، سياسة الماريشال بيجو في مستعمرة الجزائر (1836–1848)، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المجلد06، العدد01، 2021.

45. عسال نور الدين، الجرائم الاستعمارية في الجزائر خلال القرن 19 في ضوء المصادر الفرنسية، مجلة العبر للدراسات التاريخية، المجلد6، العدد01، 2023.

46. فارس عيد، الاستيطان الاوروبي في الغرب الجزائري (1831-1847)، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد8،العدد1، 2022.

47. فارس عيد، الإستيطان الأوروبي في الغرب الجزائري 1831-1847، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد03، العدد 01، 2022.

48. فركوس صالح، الإدارة الاستعمارية والمجتمع الجزائري 1830-1844، مجلة حوليات مجلد01 العدد 01، 2007.

49. فركوس صالح، المكاتب العربية ومراقبة الرأي العام الجزائري (من خلال وثيقة جديدة تنشر لأول مرة)، مجلة الحوار الفكري، المجلد02، العدد02، 2001.

50. قنون حياة، الاستيطان الفرنسي ومصادرة أراضي الجزائريين خلال القرن 19، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد03، العدد 01.

الرسائل والأطروحات

51. حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1844-1870 تيارت سعيدة جيرفيل البيض نماذجا، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2014/2013.

52. حرشوش كريمة، جرائم الجنيرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم (1832-1847)، مذكرة ماجيستير، جامعة وهران.

53. رزيق محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معهادة تافنة 1837-تحليل وثيقة ديبلوماسية-، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006.

54. سيساوي أحمد، البعد البايلكي في المشاريع الاستعمارية الفرنسية من فالي الى نابليون الثالث 1838-1871، رسالة دكتوراه، 2013 -2014

قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

Livre:

55. Duc D'isly, Bugeaud de la colonisation de l'Algérie-colonisation militaire-, Alger, 1847.
56. Duc D'isly, Robert, Duc, D'isly Maréchal De France, 1784, 1849.
57. La Vérité Sur Le Générale Damrémont, 1837,
58. Le Général Paul Azan, Les Grands Soldats De L'Algérie
59. Le Maréchal Bugeaud 1784-1849, paris, 1885.
60. Michel Biesse Eichelbrnner, Constantine La Conquête Et Le Temps Des Pionniers, Anatole France

61. Narcisse Faucon, Le Livre D'or De L'Algérie, Histoire Politique Militaire Administratif, Paris, 1889

Articl :

62. APPORT.AR.M Le Maréchal valée AS.E Le Ministre De La Guerre sur leconbat Du 31 Décembre, Lyon, 1839.

Journal :

63. L'indépendant De La Moselle, 20 Février 1857,Journal Politique Industiel Et Orgricole De Département De Le Moselle

فهرس المحتويات

شكر وتقدير: .....

الإهداء: .....

قائمة المختصرات: .....

مقدمة: .....أ

الفصل التمهيدي: سياسة الحكومة العامة قبل الجنرال بيجو

تمهيد 6

المبحث الأول: السياسة الاستعمارية في عهد الجنرال كلوزيل 7

المبحث الثاني:السياسة الاستعمارية في عهد الجنرال دامريمون 11

المبحث الثالث : السياسة الاستعمارية في عهد الجنرال فالي 13

الفصل الأول: الجنرال بيجو قائدا عسكريا في الجزائر

تمهيد 19

المبحث الأول: المولد والنشأة 20

المبحث الثاني: معاهدة التافنة..... 24

المبحث الثالث: تحطيم بيجو لحصون الأمير عبد القادر..... 30

الفصل الثاني: الجنرال بيجو حاكما عاما في الجزائر

تمهيد 39

المبحث الأول: سياسة الاستيطان 40

المبحث الثاني: سياسة الأرض المحروقة والإبادة الجماعية 46

المبحث الثالث: سياسة المكاتب العربية 51

الفصل الثالث: مصير سياسة بيجو في الجزائر

تمهيد 58

المبحث الأول: موقف الأمير من سياسة بيجو. 59

المبحث الثاني: المواقف الإقليمية و الدولية من الوضع في الجزائر على عهد الجنرال بيجو..... 66

المبحث الثالث: نهاية حكمه في الجزائر 70

خاتمة 72

الملاحق..... 80

قائمة البيبليوغرافيا 83

فهرس المحتويات..... 88

ملخص.....

ملخص الدراسة

أخذت السلطات الفرنسية تعمل على ترسيخ سياسة الاستيطان، فهو عامل مهم بالنسبة إليها حتى تثبت أقدامها بالجزائر حيث واكب ذلك استقدام العديد من القادة العسكريين الفرنسيين الذين مكنتهم من المناصب بالجزائر فاصطدموا بمقاومة وطنية شرسة تمثلت في عدة ثورات شعبية مثل ثورة الأمير عبد القادر الجزائري بين عامي1830 و1847، والقضاء على هذه المقاومة تم استدعاء الجنرال بيجو الذي انتهج سلسلة من الحملات العسكرية القاسية ضد الجزائريين وشن هجمات عنيفة على المدن والقرى، كما اتخذ إجراءات قاسية ضد الزعماء الجزائريين ومن معهم من الثوار، بما في ذلك المحاكمات السريعة والإعدامات، وبهذا صارت فترة حكم الجنرال بيجو في الجزائر جزءا لا يتجزأ من سياسة فرنسا في المنطقة وصارت هذه الفترة في المقابل محطة هامة في تشكيل الهوية الوطنية وتعزيز النضال ضد الاستعمار، وتكمن أهمية الموضوع القيادات العسكرية الاستعمارية بالجزائر منتصف القرن 19 في دراسة مختلف الوسائل والأساليب التي استخدمها الجنرال بيجو لتحقيق غايته الاستعمارية وانجاح مشروعه بالجزائر والقضاء على المقومات الروحية والحضارية للمجتمع الجزائري، والغرض هو الوقوف على عدة جوانب من سياسة بيجو، ومحاولة إدراك معاناة الجزائريين جراء هذه السياسية، وتمثلت اشكاليتنا في: "إلى أي مدى ساهمت سياسة القيادات العسكرية على رأسهم الجنرال بيجو في دعم سياسة الاحتلال الشامل في الجزائر"؟، واعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها حياة الأمير عبد القادر لهنري تشرشل، وكتاب الحركة الوطنية لأبو القاسم سعد الله، وتوصلنا بعد معالجتنا لهذا الموضوع من عدة جوانب إلى ما يلي:

– عملت الحكومة الفرنسية على إستبدال الجنرالات الفرنسيين في قيادة الجيش الفرنسي وذلك لتوسيع الإستعمار والقضاء على المقاومة، بحيث أصبحت مستعمرة الجزائر مختبرا لنظريات قادة الحرب الفرنسيين، فكلما سقط قائد أرسلت فرنسا بديلا له أكثر خبثا وأعمق حقدا وأكبر لؤما.

– اعتبر الجنرال بيجو من أكثر الضباط الفرنسيين تحمسا لسياسة الاستعمار والاستيطان والتوغل بالاستعمار في الجزائر، حيث اعتمد على جميع الأساليب والطرق بغية تكريس الهيمنة الفرنسية على الجزائر أرضا وشعبا.

– يظل الإستعمار في جوهره هو احتلال الأرض واستغلال خيرات الشعوب مهما كان أسلوبه وزمنه، لكن المتغير هو إيجاد الذرائع والمبررات التي تصيغ له ارتكاب هذه الجريمة.

الكلمات المفتاحية: القيادات العسكرية، الاستعمار، بيجو، المقاومة.

Abstract

The French authorities began working to consolidate the settlement policy, as it was an important factor for them to establish themselves in Algeria, as this was accompanied by the import of many French military leaders who gained positions in Algeria. They collided with fierce national resistance represented by several popular revolutions, such as the revolution of Emir Abdelkader of Algeria between the years 1830 and 1847, and to eliminate this resistance, General Bugeaud was summoned, who pursued a series of harsh military campaigns against the Algerians and launched violent attacks on cities and villages. He also took harsh measures against the Algerian leaders and the revolutionaries with them, including speedy trials and executions, and thus became the period of the general's rule. Bugeaud in Algeria was an integral part of France's policy in the region, and this period, in turn, became an important station in shaping the national identity and strengthening the struggle against colonialism. The importance of the topic lies in the colonial military leadership in Algeria in the mid-19th century in studying the various means and methods that General Bugeaud used to achieve his colonial goal. And the success of his project in Algeria and the elimination of the spiritual and civilizational components of Algerian society. The purpose is to examine several aspects of Bugeaud policy, and to try to understand the suffering of the Algerians as a result of this policy. Our problem was: "The extent to which the policy of military leadership led by General Peugeot has supported Algeria's comprehensive occupation policy?". In our study, we relied on a group of sources and references, the most important of which is the life of Prince Abdelkader by Henry Churchill, and the book The National Movement by Abu al-Qasim Saadallah. We arrived at this conclusion after treating this topic from several aspects. To the following:

The French government worked to replace French generals in the leadership of the French army in order to expand colonialism and eliminate resistance, so that the colony of Algeria became a laboratory for the theories of French war leaders. Whenever a leader fell, France sent a replacement for him who was more malicious, deeper in hatred, and more mean.

- General Bugeaud was considered one of the most enthusiastic French officers in the policy of colonialism, settlement, and colonial incursion into Algeria, as he relied on all methods and methods in order to establish French hegemony over the land and people of Algeria.

- Colonialism, in its essence, remains the occupation of land and the exploitation of peoples' resources, regardless of its method and time, but what changes is the creation of pretexts and justifications for committing this crime.

Keywords: military leadership, colonialism, Bugeaud, resistance.